إميل ناصيف

أروع ما قيل من الوصايا

دار الجيل
بيروت

أروع ما قيل من وصايا

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

المقدمة

الوصيّة، في اللغة، تأتي بمعنى الفرْض، والعهْد، كما تأتي بمعنى الوعْظ، وهذا المعنى الأخير هو ما نقصده في كتابنا هذا.

والوصايا نوعان:

١- وصايا الأحياء للأحياء، وهي أدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل.

٢- وصايا الأموات للأحياء عند الموت، بحقّ يجب عليهم أداؤه، ودين يجب عليهم قضاؤه[1].

وقد يتداخل هذان النوعان في الوصيّة الواحدة، إلاّ أنّنا نستطيع التمييز بينهما في معظم الوصايا.

وللنوع الثاني من هذه الوصايا أحكام شرعيّة، واختلافات فقهيَّة، وقد صنِّفت الكتبُ الكثيرة في أحكام الوصيّة في الشرع الإسلاميّ، وفي القوانين الوضعيَّة، ومنها:

١- أحكام الوصيّة لعلي الخفيف.

٢- الوصيّة وتصرّفات المريض مرض الموت في القانون المصريّ، وفي القوانين الأجنبيّة.

وهذا النوع من الوصايا لا يهمّنا في هذا الكتاب، والذي يهمّنا هو

---

(١) أسامة بن منقذ: لباب الآداب ص١.

النوع الأوَّل، وفي دراسة هذا النوع فائدة كبيرة سواءٌ من الناحية الأدبيّة، أم من الناحية اللغويّة، أم الأخلاقيَّة، أم الحضاريَّة، أم التاريخيَّة، أم غيرها.

وقد صنَّف بعضهم كتباً في الوصايا، ومن هذه الكتب نذكر على سبيل المثال:

١- وصايا ملوك العرب ليحيى بن الوشاء.

٢- الدرّة المضيّة في الوصايا الحكميّة لأبي بكر الشيباني.

٣- الوصايا ومدى تطوّرها في العصر العبّاسيّ الأوَّل لسهام الفريع.

٤- جمهرة وصايا العرب لمحمد نايف الديلمي.

هذا وثمَّة كتب أدبيَّة كثيرة تضمَّنت العديد من الوصايا، ومنها:

١- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.

٢- الأمالي لأبي علي القالي.

٣- الأمالي للسيد المرتضى.

٤- البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيديّ.

٥- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي.

٦- البيان والتبيين للجاحظ.

٧- ثمار القلوب للثعالبي.

٨- جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت.

٩- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي.

١٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي.

١١- العقد الفريد لابن عبد ربه.

١٢- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.

١٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير.

١٤- الكامل في اللغة والأدب للمبرد.
١٥- لباب الآداب لأسامة بن منقذ.
١٦- مجمع الأمثال للميداني.
١٧- المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني.
١٨- المفصَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي.

☆ ☆ ☆

ورغم هذه الكثرة من الوصايا في الأدب العربي قديمه، وحديثه، ورغم أنّ أدب الوصايا يُعتبر أدباً متميِّزاً سواء من ناحية المضمون أم من ناحية الأسلوب، فإن الدارسين العرب المحدثين لم يخصّوه على أنّه نوع، أو فنّ أدبيّ، كما لم ينلْ هذا الأدب حظّه من الدراسة، لكي تتوضَّح أهمّ مقوّماته الفنّيّة والأسلوبيّة، وأهمّ خصائصه ومميّزاته عبر العصور.

ولن أتطرّق في كتابي هذا إلى دراسة أدب الوصيّة، لأنّ هذا الكتاب يشكّل حلقة من سلسلة «أروع ما قيل»، التي تتضمَّن مختارات رائعة من الأنواع والفنون الأدبيَّة المختلفة.

وقد صنَّفتُ هذه الوصايا بحسب قائليها، وجعلتها في عشرة أبواب على النحو التالي:

١- الباب الأول: من وصايا الله والرسول.
٢- الباب الثاني: من وصايا الملوك والخلفاء إلى ولاة العهد.
٣- الباب الثالث: من وصايا الخلفاء وغيرهم إلى أمراء الجيوش (وصايا الحرب).
٤- الباب الرابع: من وصايا الخلفاء إلى ولاة الأمصار.
٥- الباب الخامس: من وصايا الآباء إلى الأبناء.
٦- الباب السادس: من وصايا الآباء إلى مؤدّبي أولادهم.

٧- الباب السابع: من وصايا الزواج.

٨- الباب الثامن: من وصايا الزهّاد.

٩- الباب التاسع: من وصايا السَّفَر.

١٠- الباب العاشر: من الوصايا الشعريّة.

وأرجو أن أكون قد وفِّقت فيما اخترت من وصايا، والله الموفِّق والمعين.

المؤلّف

الباب الاوَّل

من وصايا الله والرسول

الفصل الأوّل:

من وصايا الله

كثيرة هي الوصايا التي أوصانا بها الله في كتابه العزيز، ونستطيع اعتبار كلّ نُصْح، أو إرشاد، أو أمر، أو نهي، في القرآن الكريم، وصيَّةً من الله عزّ وجلّ لعباده، ومنها:

﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض، ولقد وصَّينا الذين أوتُوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أنِ اتّقُوا الله، وإن تكفُروا فإنّ للهِ ما في السماوات والأرض وكان الله غنيًّا حميداً﴾[1] ﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضونَ في آياتنا فأَعْرِضْ عنهم حتّى يخوضوا في حديثٍ غيره، وإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تقعُدْ بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[2] ﴿ووصَّينا الإنسانَ بوالديه حُسْناً، وإنْ جاهداكَ لتُشْرِكَ بي ما ليس لك به علم فلا تُطعْهما، إليّ مرجِعُكُمْ، فأنبّئكم بما كنتم تعملون﴾[3]. ﴿ووصَّينا الإنسان بوالديه حملَتْه أمُّه وهْناً على وهْنٍ وفصاله في عامين أنِ اشكرْ لي ولوالديك إليّ المصير﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٨.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٤.

وإذا أردْنا كتابة كلّ وصايا الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، لنقلنا قسماً كبيراً من القرآن الكريم.

وثمَّة وصايا أخرى لله عزّ وجلّ جاءت على لسان نبيّه، ومنها قوله:

أوصاني رَبِّي بِتِسْعٍ، وأنا أوصِيكُمْ بها: بالإخلاصِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ، والعَدْلِ في الرِّضا والغَضَبِ، والقَصْدِ في الغِنى والفَقْرِ، وأنْ أعْفُوَ عَمَّن ظَلَمَني، وأُعطي مَنْ حَرَمَني، وأصِل مَنْ قَطَعَني، وأنْ يكونَ صَمْتي فِكراً، ونُطْقي ذِكْراً، ونَظَري عبرًا[(١)].

☆ ☆ ☆

---

(١) لباب الآداب ص ٥.

الفصل الثاني:

الوصايا العشر

يُقصد بالوصايا العشر مجموعة الوصايا التي أُنزلت على النبيّ موسى في صحراء سيناء.

وهذه الوصايا كانت مكتوبة على لوحين من الحجر. وكان القضاة يراقبون تطبيق مضمونها.

ومع الزمن اضطرّ هؤلاء القضاة إلى تفسير بعض المقاطع ممّا أدّى بهم إلى تحرير كتاب العهد الذي يُرجَع إليه في حال الشّكّ أو اختلاف الرأي.

وهذه الوصايا هي:

١- أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبوديّة. لا يكنْ لك آلهة أخرى أمامي.

٢- لا تنطقْ باسم الربّ إلهك باطلاً.

٣- اذكرْ يوم السبتِ لتقدِّسه.

٤- أكرِمْ أباكَ وأمّكَ.

٥- لا تقتلْ.

٦- لا تزْنِ.

٧- لا تسرقْ.

٨- لا تشهدْ على قريبكَ شهادة زور.

٩- لا تشْتهِ بيت قريبك.

١٠- لا تشتهِ امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أَمَته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً ممّا لقريبك.

☆

الفصل الثالث:

من وصايا الرسول (ﷺ)

كان من الطبيعيّ أن نجد في كتب الحديث الكثير من وصايا الرسول، ذلك أنّ النبيّ محمد (ﷺ)، وهو الرسول الأمين، كان يعتمد، فيما يعتمد، لنشر الدين القويم، الذي يدعو إلى الأخلاق الحميدة، على الوصايا التي تحضّ على الخير، وتحذّر من الشّرّ، وتهدي الإنسان سواء السبيل، ولو جمعنا هذه الوصايا لتحصّل لدينا كتاب ضخم. وقد اقتطفنا منها ما يلي:

قال يوصي حَرْمَلَة بن عبدالله العَنْبري[1] وقد طلب منه ذلك:

يا حَرْمَلَة، إيتِ المَعْروفَ، واجْتَنِبِ المُنْكَر، وانظُرْ إلى الذي تُحِبُّ أنْ يَقولَهُ القَوْمُ مِنَ الخَيْرِ إذا قُمْتَ من عِندِهِمْ فأْتِهِ، وانْظُرْ إلى الذي تَكْرَهُ أنْ يقولَهُ القَوْمُ مِنَ الشَّرِّ إذا قُمْتَ من عِندِهِمْ فاْجْتَنِبْهُ[2].

☆ ☆ ☆

وقال معاذ بن جبل[3]:

---

(١) هو من أصحاب الرسول (ﷺ)، رحل إليه وحدّث عنه بهذا الحديث، وقد رواه البخاري مع بعض الاختلاف.

(٢) لباب الآداب ص ٥ - ٦.

(٣) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي (٢٠ ق.هـ./٦٠٣م - =

أوصاني الرسول أنْ أنظرَ إلى مَنْ هُوَ دُوني، ولا أنْظُر إلى مَنْ هُوَ فَوْقي، وأوصاني بحُبِّ المساكينِ، والدُّنُوِّ مِنْهُم، وأوصاني أنْ لا أسْألَ أحَداً شَيئاً، وأوصاني أنْ أصِلَ رَحمِي، وإن أدْبَرَتْ، وأوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإن كانَ مُرًّا، وأوصاني أنْ أقولَ: لا حَوْل ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، وأوصاني أنْ لا أخافَ في اللهِ لَوْمَة لائِمٍ(١).

☆ ☆ ☆

وقال لأنس بن مالك(٢):

يا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بسباغ الوُضوءِ(٣)، يُزَدْ في عُمُرِكَ، ويحبُّكَ حافِظاكَ، يا بُنَيَّ، بالِغْ في غُسْلِكَ مِنَ الجنابةِ، فإنَّكَ تَخْرُجُ من مُغْتَسَلِكَ ولَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ ولا خَطِيَّة.

يا بُنَيَّ، كنْ إنِ استطَعْتَ أنْ تكونَ على وُضوءٍ فٱفعَلْ، فإنَّهُ مَنْ أتاهُ مَلَكُ الموتِ وَهُو على وُضوءٍ أُعطِيَ الشَّهادة.

يا بُنَيَّ، إنِ ٱسْتطَعْتَ أنْ لا تزالَ تُصَلي فإنَّ الملائِكة تُصَلّي عَلَيْكَ ما دُمْتَ تُصَلِّي.

= ١٨هـ/ ٦٣٩م) صحابي جليل، من أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ﷺ). أسلم وهو فتى، وآخى النبيّ (ﷺ) بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدراً وأحد والخندق وغيرها. أرسله الرسول (ﷺ) بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. (الزركلي: الأعلام ٧/ ٢٥٨).

(١) لباب الآداب ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري (١٠ ق.هـ/ ٦١٢ - ٩٣هـ/ ٧١٢م) صاحب رسول الله (ﷺ) وخادمه؛ روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٤ - ٢٥).

(٣) ويروى أنّ أنساً قال للرسول (ﷺ): وما المبالغة في الغسل؟ قال: أن تبلَّ أصول الشعر وتنقِّي البَشَرَة.

يا بُنَيَّ، إياكَ والالتِفاتَ في الصَّلاةِ، فإنَّهُ هَلَكَةٌ، يا بُنَيَّ، إذا رَكَعْتَ فأرفَعْ يَدَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وضَعْ كَفَّيكَ على رُكْبَتَيْكَ.

يا بُنَيَّ، إذا رفَعْتَ رأسكَ مِنَ السُّجودِ فأبْسُطْ ظَهْرِيْ قَدَمَيْك على الأرْض، وضَعْ أَلْيَتَك على عَقِبَيْكَ، فإنَّ ذَلِكَ من سُنَّتي، ومَنْ أَحْيا سُنَّتي فَقَدْ أحبَّني، ومَنْ أَحَبَّني كانَ مَعي في الجَنَّةِ، لا تُقْعِ كما يُقعي الكَلْبُ، ولا تَنْقُر كما يَنْقُر الدِّيكُ.

يا بُنَيَّ، إذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ، فلا يَقَعنَّ بَصَرُكَ على أحَدٍ مِنْ أهْلِ القِبْلَة إلاّ سلَّمْتَ عَلَيْهِ، فإنَّكَ تَرْجِع وَقَد زِيدَ في حَسَناتِكَ.

يا بُنَيَّ، إنِ ٱسْتَطَعْتَ أنْ تُمسِيَ وتُصْبحَ ولَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌّ لأحَدٍ فأفْعَلْ، فإنَّهُ أهْوَنُ عَلَيْكَ في الحِسابِ.

يا بُنَيَّ، إنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتي، فلا يكونَنَّ شيءٌ أحَبَّ إليكَ مِنَ الموتِ(١).

☆ ☆ ☆

وقال رسول الله (ﷺ) يوصي رَجلاً وقَدْ طَلَبَ مِنه ذلك:

قالَ رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ أوصِني بشيءٍ ينْفَعني اللهُ به، قال: أكْثِرْ ذِكرَ المَوتِ يُسْلِكَ عَنِ الدُّنيا، وعَلَيْكَ بالشُّكْرِ، فإنَّهُ يزيدُ في النِّعمةِ، وأكثِرِ الدُّعاءَ فإنَّكَ لا تَدري مَتىٰ يُسْتَجابُ لَكَ، وإياكَ وٱلبَغْيَ فإنَّ اللهَ قَدْ قَضَىٰ أنَّهُ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ ليَنْصُرَنَّهُ اللهُ، وقال: ﴿**يا أيُّها النَّاسُ بَغْيُكُم علىٰ أنْفُسِكُم**﴾(٢)، وإيّاكَ وٱلمكرَ فإنَّ اللهَ قَدْ قضىٰ ألاّ يَحيق المكرُ السَّيِّئُ إلاّ بأهلِه(٣)

---

(١) لباب الآداب ص٧.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٣.

(٣) البيان والتبيين ٢/ ٢١.

وقال رسولُ الله ﷺ يوصي النَّاسَ[1]:

أوصيكُمْ بثلاثٍ، وأنهاكُمْ عَنْ ثلاثٍ، أُوصيكُمْ بٱلذِّكْرِ، فإنَّ اللهُ تعالىٰ يقول: ﴿فٱذكُرُوني أذكُرْكُمْ﴾[2]، وأوصيكُمْ بالشُّكْرِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿لئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنّكُمْ﴾[3]، وأوصِيكُمْ بالدُّعاءِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿ادْعوني أستَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

وأنهاكُمْ عَنِ ٱلبَغْيِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿إنَّما بَغْيُكم علىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾[5]، وأنهاكُمْ عَنِ المكرِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿ولا يَحيقُ ٱلمكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ﴾[6]، وأنهاكُمْ عَنِ النُّكْثِ، فإنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ علىٰ نَفْسِه﴾[7].

☆ ☆ ☆

وقال رسول الله ﷺ يوصي أبا هُريرة[8]:

يا أبا هُرَيْرَةَ، اتَّقِ المحارمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وٱرْضَ بما قَسَمَ اللهُ لكَ تَكُنْ أغنى النَّاسِ، وأَحْسِنْ إلىٰ جارِكَ تَكُنْ مُؤمِناً، وحِبَّ للنَّاس ما

---

(١) لباب الآداب ص ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.
(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.
(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.
(٥) سورة يونس، الآية ٢٣.
(٦) سورة فاطر، الآية ٤٣.
(٧) سورة الفتح، الآية ١٠.
(٨) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (٢١ ق.هـ/٦٢م - ٥٩هـ/٦٧٩م) صحابي، كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. روى عن الرسول (ﷺ) ٥٣٧٤ حديثاً، ونقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. (الزركلي: الأعلام ٣/٣٠٨).

تُحِبُّ لِنَفسِكَ تكُنْ مُسْلِماً، وإيّاكَ وكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فإنَّ الضَّحِكَ يُميتُ القَلْبَ[1].

☆ ☆ ☆

وقال رسول الله ﷺ يوصي عليّ بن أبي طالب[2] رضي الله عنه.

يا عليّ، أوصيْكَ بوَصِيَّةٍ فٱحْفَظْها، فإنَّك لا تزالُ بِخَيْرٍ ما حَفِظْتَ وصِيَّتي.

يا عليّ، إنَّ للمؤمنِ ثلاث عَلاماتٍ، الصَّلاةُ، والصِّيامُ، والزَّكاةُ، وللمُتَكَلِّفِ ثَلاثُ علاماتٍ، يَتَمَلَّقُ[3] إذا شَهِدَ، ويَغْتابُ إذا غاب، ويَشْمَتُ بٱلْمُصِيبَةِ، وللظّالِمِ ثلاثُ عَلاماتٍ: يَقْهَرُ مَنْ دونه بٱلْغَلَبَةِ، ومَنْ فَوْقَه بٱلْمَعْصِيَة، ويُظاهِرُ الظَّلَمَةَ[4]، وللمُرائي ثلاثُ علاماتٍ: يَنْشَطُ إذا كان عِنْدَ النَّاسِ، ويَفْتَرُ إذا كانَ وَحدَه، ويُحِبّ أنْ يَحْمَدَ في جَميعِ الأمورِ، ولِلْمنافِقِ ثَلاثُ عَلاماتٍ: إنْ حَدّثَ كَذَبَ، وإنْ وَعَدَ أخْلَفَ، وإنِ ٱؤتُمِنَ خانَ.

يا عليُّ، وللكَسْلانِ ثَلاثُ علاماتٍ: يَتَوانىٰ حَتّىٰ يُفَرِّطَ، ويُفَرِّطُ حتىٰ يُضيِّعَ، ويضيّع حتىٰ يأثَمَ، ولَيْسَ ينبغي للعاقل أنْ يكونَ شاخِصًا إلاّ في ثلاث: مُرِمَّة[5] لمعاشٍ، أو لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحْرِم، أو خُطْوَةٍ لمعادٍ.

يا عَلِيُّ، إنَّ مِنَ ٱليقينِ أنْ لا تُرضي أحَداً بِسُخْطِ اللهِ، ولا تَحمَدَنَّ

---

(١) لباب الآداب ص ٢٨.

(٢) هو الإمام علي بن أبي طالب (٢٣ ق.هـ/ ٦٠٠م - ٤٠هـ/ ٦٦١م) أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة، وابن عم النبي (ﷺ) وصهره. ولد بمكّة، وربي في حجر النبيّ (ﷺ) ولم يفارقه. (الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٩٥).

(٣) يتملّق: يتودّد بكلام لا يعكس ما في القلب.

(٤) أي: يعاونهم.

(٥) المرمّة: كلّ ما يكفي الإنسان مؤونة السؤال.

أحَداً علىٰ ما آتاكَ اللهُ، ولا تَذُمَّنَّ أحَداً علىٰ ما لَمْ يُؤتِكَهُ اللهُ، فإنَّ الرِّزْقَ لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَريصٍ، ولا يَصْرِفُهُ كَراهِيَّةُ كارِهٍ، وإنَّ الله سُبحانَهُ وتعالىٰ جَعَلَ الرُّوحَ والفَرَجَ في ٱليَقينِ والرِّضا بِقَسْمِ الله، وجَعَلَ الهَمَّ وٱلحُزْنَ في السُّخْطِ بِقَسْمِ اللهِ.

يا عَلِيّ، لا فَقْرَ أشَدُّ منَ ٱلجَهْلِ، ولا مالَ أعْوَزُ مِنَ العَقْلِ، ولا وَحْدَةَ أوحشُ مِنَ ٱلعُجْبِ، ولا مُظاهَرَةَ أوثَقُ من ٱلمشاوَرَةِ، ولا إيمانُ كاليَقينِ، ولا وَرَعَ كالكَفِّ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ ٱلخُلُقِ، ولا عِبادَةَ كالتفكّر.

يا عَلِيّ، إنَّ لِكُلِّ شيءٍ آفَةً، وآفةُ الحَديثِ الكَذِبُ، وآفةُ العِلْمِ النِّسْيانُ، وآفَةُ ٱلعِبادَةِ الرِّياءُ، وآفةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وآفةُ الشَّجاعَةِ ٱلبَغْيُ، وآفةُ السَّماحَةِ ٱلمنُّ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاءُ، وآفةُ الحَسَبِ الفَخْرُ، وآفةُ الحَياءِ الضَّعْفُ، وآفةُ الكَرَمِ الفَخْرُ، وآفةُ الفَضْلِ ٱلبُخْلُ، وآفةُ الجُودِ السَّرَفُ، وآفةُ العِبادَةِ الكِبْرُ، وآفةُ الدِّين ٱلهَوَىٰ.

يا عليُّ، إذا أُثنيَ عَلَيْكَ في وَجْهِكَ فَقُلْ: اللهمَّ ٱجْعَلْني خَيْراً مما يقولونَ، وٱغْفِرْ لي ما لا يَعْلَمونَ، ولا تُؤاخِذْني فيما يقولونَ، تَسْلَمْ مِمّا يَقولونَ.

يا عليّ، إذا أَمْسَيْتَ صائِماً فَقُلْ عِنْدَ إفطارِكَ: اللهُمَّ لَكَ صُمْتُ وعَلىٰ رِزقِكَ أَفْطَرْتُ، يُكْتَبْ لَكَ أَجْرُ مَنْ صامَ ذلك اليومَ من غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجورِهِمْ شيءٌ، وٱعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ صائمٍ دَعْوَةً مُستَجابَةً، فإنْ كان عِنْدَ أوَّلَ لُقْمَةٍ يقول: بسمِ الله الرحمن الرحيم، يا واسعَ ٱلمَغْفِرَةِ ٱغْفِرْ لي، فإنّه مَن قالَها عِنْد فِطرِه غُفِرَ له وٱعْلَمْ أنَّ الصَّوْمَ جُنّةٌ[1] مِنَ النّارِ.

---

(١) جُنَّة: درع، وقاية.

يا عليُّ، لا تَستَقْبِل الشَّمْسَ وٱلقَمَرَ وٱستَدْبِرْهُما، فإنَّ ٱستِقْبالَهُما داءُ واستِدْبارَهُما دواءُ، يا عَلِيُّ، ٱسْتَكْثِرْ مِن قراءَةِ يَس، فإنَّ في قِراءَة يَس عَشْرَ بَرَكاتٍ، ما قَرَأها قَطّ جائعٌ إلاّ شَبعَ، ولا قرأها ظَمآن إلاّ رُوِيَ، ولا عارٍ إلاّ ٱكْتُسِيَ، ولا مَريضٌ إلاّ بَرِىءَ، ولا خائِفٌ إلاّ أَمِنَ، ولا مَسْجونٌ إلاّ ٱنفَرَجَ، ولا أعزَبُ إلاّ تَزَوَّجَ، ولا مسافِرٌ إلاّ أُعِينَ علىٰ سَفَرِهِ، ولا قَرأها أَحَدٌ ضَلَّتْ له ضالَّةٌ إلاّ وَجدها، ولا قرأها علىٰ رأس مَيِّت حَضر أجلُهُ إلاّ خُفِّفَ عليْهِ، ومَنْ قرأها صباحاً كانَ في أمانٍ إلىٰ أنْ يُمْسِيَ، ومَنْ قرأها مساءً كانَ في أمانٍ حتىٰ يُصبِحَ.

يا عليُّ، اقرأ (حَم الدخان) في ليلةِ الجُمعة تُصبحْ مَغفوراً لكَ، يا علي، اقرأ آيةَ الكُرسي دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ تُعْطَ قُلوبَ الشّاكِرينَ، وثَوابَ الأنْبياءِ، وأعمالَ الأبرار، يا عليُّ، اقرأ سورَةَ ٱلحَشْرِ تُحْشَرْ يومَ القِيامَة آمناً من كُلِّ شرٍّ، يا عَلِيُّ، اقرأ (تَبارَكَ والسَّجْدَة) يُنْجِيانِكَ من أهوالِ يومِ القيامَة، يا عَلِيُّ، اقرأ (تبارك) عِنْد النوم تَدْفَعْ عَنْكَ عَذابَ ٱلقَبْرِ ومَسْأَلَةَ مُنْكَرٍ ونَكير[1]، يا عليُّ، اقرأ (قُلْ هو اللهُ أحد) علىٰ وُضوءٍ تُنادَ يومَ ٱلقِيامَةِ: يا مادِحَ اللهِ قُمْ فٱدْخُلِ الجَنَّة، يا عليُّ، اقرأ سورة (البقرة) فإنَّ قِراءَتها بَرَكَةٌ، وتركها حَسْرَةٌ، وهي لا تطيقُها ٱلبَطَلَة[2].

يا عليُّ، لا تُطلِ ٱلقُعودَ في الشَّمْسِ، فإنَّها تُثيرُ الدَّاءَ الدَّفينَ، وتُبلي الثِّيابَ، وتُغَيِّرُ اللونَ، يا عَلِيُّ، أمانٌ لَكَ مِنَ الخَوْفِ أن تقول: «سُبْحانَكَ ربِّي لا إلهَ إلاّ أَنْتَ، عليك توكَّلْتُ وأنتَ ربُّ العَرْشِ العظيمِ»، يا عليُّ، أمانٌ لكَ مِنَ الوَسْواسِ أنْ تَقْرَأ: ﴿وإذا قَرأتَ القُرآنَ

---

(١) هما ملكا القبر.

(٢) البطلة: السَّحَرة.

جعَلنا بَيْنَكَ وبَيْنَ ٱلذينَ لا يُؤمِنون بالآخِرَة حِجاباً مستوراً﴾[1] إلىٰ قوله: **﴿ولَّوا علىٰ أدبارِهِمْ نُفوراً﴾**[2]، يا عليّ، أمانٌ لَكَ من شرِّ كُلِّ عائِنٍ[3] أنْ تقول: «ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يشأ لَمْ يَكُنْ، أَشْهَدُ أنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلماً، وأحصىٰ كُلَّ شيءٍ عَدَداً، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله».

يا عليُّ، كُلِ الزَّيْتَ وٱدَّهِنْ بالزَّيْتِ، فإنَّهُ مَنْ أَكَلَ الزَّيْتَ، وٱدَّهَنَ بالزَّيْتِ لَمْ يَقْرَبْهُ الشَّيطانُ أربعينَ صباحاً، يا عليُّ، ابدأ بالمِلْحِ، وٱختُمْ بالمِلْحِ، فإنَّ المِلْحَ شِفاءٌ من سَبْعين داءً، منها ٱلجنون، والجذامُ، وٱلبَرَص، ووَجَعُ الحَلْقِ، ووَجَعُ الأضراسِ، ووَجَعُ البَطْنِ. يا عليّ، إذا أَكَلْتَ فَقُلْ: بسم الله، وإذا فَرَغْتَ فَقُلْ: الحمدُ لله. فإنَّ حافِظَيْكَ لا يَسْتَرِيحانِ يَكْتُبان لَكَ الحَسَنات حتىٰ تَنبذَهُ عَنْكَ.

يا عليُّ، إذا رأيتَ الهِلالَ في أوَّل الشَّهْرِ فَقُلْ: «الله أكبر ثلاثاً، والحمدُ لله الذي خَلَقَني وخَلَقَكَ وقَدَّرَكَ منازِلَ وَجَعَلَكَ آيةً للعالمين» يُباهي اللهُ بكَ الملائِكَةَ يقولُ: يا مَلائِكَتي ٱشهَدوا أني قد أعْتَقْتُ هذا ٱلعَبْدَ مِنَ النارِ، يا عليُّ، إذا نَظَرْتَ في المرآةِ فَقُلْ: «اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خلْقي فَحَسِّنْ خُلُقي وٱرزُقْني». يا عليُّ، وإذا رأيتَ أسَداً واشتدَّ بكَ الأمْرُ فَكَبِّرْ ثَلاثاً وقُلْ: «اللهُ أكبر وأجَلّ وأعَزُّ مِمّا أخافُ وأحذَر، اللهُمَّ إني أدْرَأُ بكَ في نَحْرِهِ، وأعوذُ بكَ من شَرِّهِ»، فإنَّك تُكفىٰ بإذنِ اللهِ، وإذا رأيتَ كلباً يهرُّ فَقُلْ: **﴿يا معشَرَ ٱلجِنِّ والإنْس إنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذوا مِنْ أقطارِ السَّماواتِ والأرضِ**

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٦.

(٣) العائن: الذي يُصيب بالعين، أي يوقع الضَّرَر بالآخرين عن طريق عينه.

فٱنْفُذوا لا تَنْفُذون إلاّ بِسُلطانٍ﴾[١].

يا عَليُّ، إذا خَرَجْتَ من مَنْزِلك تريدُ حاجَةً فٱقرأ آية الكُرسي، فإنَّ حاجَتَكَ تُقضَىٰ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ. يا عليُّ، إذا توضأتَ فَقُل: «بسمِ الله والصَّلاةُ علىٰ رسولِ الله». يا عليّ، صَلِّ مِنَ الليلِ ولَوْ قَدْرَ حَلْبِ شاةٍ، وٱدْعُ اللهَ سُبْحانَهُ بأسْحارٍ، لا تُرَدُّ دَعْوَتُكَ، فإنّ اللهَ سبحانَهُ يقول: ﴿والمُسْتَغفِرينَ بالأسحار﴾[٢].

يا عليُّ، غَسِّلِ ٱلموتىٰ، فإنَّهُ مَنْ غَسَّل مَيِّتاً غُفِرَ لَهُ سَبْعونَ مَغْفِرَةً، لو قُسِّمَتْ مَغْفِرَةٌ مِنْها علىٰ جميع ٱلخَلْقِ لَوَسِعَتْهُمْ.

يا عليُّ، لا تخرُجْ في سَفَرٍ وحْدَكَ، فإنَّ الشَّيْطانَ مَعَ الواحدِ، وهُوَ مِنَ الاثنين أبعَدُ، يا عَلِيُّ، إنَّ الرَّجُلَ إذا سافَر وَحْدَهُ غاوٍ، والاثنانِ غاويانِ، والثَّلاثةُ نَفَرٌ، يا عليُّ، إذا سافَرْتَ فلا تنزلِ الأوْدِيةَ، فإنّها مأوىٰ السِّباع وٱلحَيَّاتِ، يا عليّ، لا تَردِفَنَّ ثلاثةً علىٰ دابّةٍ، فإنَّ أحدَهُمْ مَلْعونٌ، وهُوَ المقدَّمُ.

يا عليُّ، إذا وُلِدَ لَكَ مولودٌ، غلام أو جارية، فأذِّنْ في أُذُنِه اليمنىٰ وأقم[٣] في أُذُنِه ٱليُسرىٰ، فإنَّه لا يَضُرّه الشَّيطان أبداً. يا عليُّ، لا تأتِ أهلك ليلةَ الهِلالِ، ولا ليلة النِّصفِ، فإنَّه يتخوف علىٰ ولدك الخَبَلُ[٤].

يا عليُّ، وإذا نَزَلَتْ بك شدَّةٌ، فَقُلْ: «اللهمّ إنّي أسألك بِحَقِّ مُحمّد وآل محمد عليك أن تُنَجيني»، وإذا أردتَ الدخولَ إلى مدينة أو قريةٍ فَقُلْ حينَ تُعاينُها: «اللهمّ إنِّي أسألكَ خَيْرَ هذه المدينة وخير ما كَتَبْتَ

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧.

(٣) أي: أَقِم الصلاة.

(٤) الخَبَل: ضعف العقل والجنون.

فيها، وأعوذُ بك من شَرِّها ومن شَرِّ ما كتبت فيها، اللهُمَّ ٱرزقني خَيْرها، وأعِذني من شرِّها، وحَبِّبْنا إلى أهلها، وحَبِّبْ صالحي أهْلِها إلينا»، يا عليُّ، إذا نَزَلْتَ مَنزِلاً فَقُلْ: «اللهُمَّ أَنْزِلنا مَنْزِلاً مُبارَكاً وأنت خيرُ ٱلمُنْزِلينَ» تُرزَقْ خَيْرهُ، ويُدْفَعْ عنك شَرُّه.

يا عليُّ، وإياكَ وٱلمِراءَ، فإنَّه لا تُعْقَلُ حِكْمَتُهُ، ولا تُؤمَنُ فِتنَتُهُ. يا عليُّ، وإياكَ والدُّخول إلىٰ الحَمّام بلا مِئزرٍ، فإنَّه مَلعونٌ الناظِرِ وٱلمنظورُ إليه. يا عليُّ، لا تَتَخَتَّم بالسَّبابة والوسطى، فإنَّه من فعلِ قومِ لوط، يا عليُّ، لا تَلْبَسِ ٱلمُعَصْفَر[1]، ولا تَبِتْ في مَلْحَفَةٍ حَمراءَ، فإنها مُحْتَضَرَةُ الشَّيطانِ. يا عليُّ، لا تقرأ وأنْتَ راكعٌ ولا ساجِدٌ.

يا عليُّ، إياكَ والمجادَلَة، فإنَّها تُحْبِطُ الأعمالَ، يا عليّ، لا تَنْهَرِ السائِلَ ولو جاءَكَ علىٰ فَرَسٍ، وأعطِهِ، فإنَّ الصَّدَقَةَ تقع بيَدِ اللهِ قَبْلَ أن تقع بيد السائل، يا عليُّ، باكِر بالصَّدَقَةِ فإنَّ البلاءَ لا يَتَخَطَّىٰ الصَّدَقَة.

يا عليُّ، عليكَ بحُسْنِ الخُلُقِ، فإنَّكَ تُدْرِكُ بذلك دَرَجَة الصائم القائم، يا عليُّ، إيّاكَ والغَضَبَ، فإنَّ الشيطان أقدَرُ ما يكون علىٰ ٱبن آدَمَ إذا غَضِبَ، يا عليّ، إياكَ والمِزاحَ، فإنَّه يُذهِبُ بهاءَ ٱبنِ آدَمَ ونَشاطَه، يا عليّ، عليك بقِراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2]، فإنَّها مَنهاةٌ للفَقْرِ، وإيّاكَ والرِّبا، فإنّ فيه ستَّ خِصالٍ، ثلاثةٌ منها في الدُّنيا، وثلاثةٌ في الآخِرَة، فأما التي في الدنيا، فتُعَجِّلُ ٱلفَناءَ، وتُذْهِبُ الغِنَىٰ، وتَمْحَقُ الرِّزْقَ، وأمّا التي في الآخِرَة، فسوءُ الحساب، وسُخْطُ ربِّ الأرْبابِ عزَّ وجَلّ، والخلودُ في النارِ.

يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ علىٰ أهْلِ بيتِكَ يكثُرْ خَيرُ بَيْتِكَ، يا

---

(١) المعصفر: المدهون بالعصفر، وهو نوع من الصَّبْغ يُستخرج من النبات.
(٢) سورة الاخلاص، الآية ١.

عليُّ، أحبَّ الفقراء والمساكين يحبُّك الله. يا عليّ، لا تَنْهَرِ المساكين والفقراءَ فتنهركَ الملائكةُ يومَ القِيامَة. يا عليُّ، عَلَيكَ بالصَّدقَةِ فإنَّها تَدْفَعُ عَنْكَ السُّوءَ. يا عَلِيُّ، أَنْفِقْ وأوسِعْ علىٰ عيالِكَ، ولا تَخْشَ من ذي ٱلعَرْشِ إقلالاً.

يا عليُّ، إذا رَكِبْتَ دابَّةً فَقُل: الحمدُ لله الذي كَرَّمنا وهدانا للإسلام ومَنَّ علَيْنا بمُحَمَّد عليه الصلاةُ والسلام، **﴿سُبْحانَ الذي سخَّر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقرنينَ* وإنا إلى رَبِّنا لَمُنقَلِبون﴾**(1).

يا عليُّ، لا تَغْضَبَنَّ إذا قيل لك: اتَّقِ اللهَ، فيسوءَكَ ذلك يوم القيامة.

يا علي، إنَّ اللهَ يَعْجَبُ من عَبْدِهِ إذا قال: اللهُمَّ ٱغْفِرْ لي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنْتَ، فيقول: يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفِرُ الذُّنوبَ غيري، ٱشهدوا أنِّي قد غَفَرْتُ له.

يا عليّ، إذا لَبِسْتَ ثَوْباً جديداً فَقُلْ: بسم اللهِ والحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عَوْرَتي، وأستَغْني به عن الناسِ، لم يَبْلُغِ الثَّوبُ ركبتيْكَ حتىٰ يُغْفَرَ لك. يا عليّ، مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عُرياناً أو مسكيناً، كان في جِوار اللهِ وأمنِهِ وحِفْظِهِ ما دامَ عليه سِلْكٌ.

يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ السُّوقَ فَقُلْ حين تَدْخُله: «بسم الله، وباللهِ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ»، يقول الله تعالىٰ: عبدي ذَكرني والناسُ غافِلونَ، ٱشهَدوا أني قد غَفَرْتُ له، يا عليُّ، إنّ الله يَعْجبُ مِمَّن يذكرُهُ في الأسواقِ، يا عليُّ، إذا دَخَلْتَ المسجد فَقُلْ «بسم الله والسلامُ علىٰ رسول الله، اللهم ٱفْتَحْ لي أبوابَ رحْمَتِكَ» وإذا خرجت فقُلْ: «بسم الله والصَّلاة علىٰ رسول الله، اللهم

(1) سورة الزخرف، الآيتان ١٣ و١٤.

ٱفتح لي أبوابَ فَضْلِكَ»، يا عليُّ، إذا سَمِعْتَ المؤذِّنَ قُل مِثل مَقالتِهِ، يكتَبْ لَكَ مِثلُ أجرِهِ، يا عليّ، وإذا فَرَغْتَ من وُضوئِكَ فَقُلْ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله، وأشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله، اللهم ٱجعَلْني منَ التَّوابينَ، وٱجعَلني منَ المتطهِّرين»، تَخْرج من ذنوبكَ كيومِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وتُفْتَح لكَ ثمانِيةُ أبوابِ ٱلجَنَّة، يقال: ٱدْخُلْ من أيِّها شئتَ.

يا عليُّ، إذا فَرَغْتَ من طعامِك فَقُلْ: «الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسقانا وجَعلنا مُسْلِمينَ، يا عليّ، إذا شَرِبتَ ماءً فَقُلْ: «الحمد لله الذي سقانا ماءً جعَله عَذْباً فُراتاً برَحْمَتِه، ولَمْ يَجْعَلْهُ مِلحاً أُجَاجاً بذُنوبِنا» تُكتَبْ شاكراً.

يا عليُّ، إياكَ والكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يُسَوِّدُ ٱلوَجْهَ، ولا يزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حتَّىٰ يُسمَّىٰ عند الله كاذباً، ويَصْدُقُ حتىٰ يُسمَّىٰ عند الله صادقاً، إنَّ الكَذِبَ يُجانِبُ الايمانَ. يا عليُّ، لا تَغْتابَنَّ أَحداً، فإنَّ الغِيبةَ تُفْطِرُ الصَّائِمَ والذي يَغْتابُ النَّاسَ يأكُلُ لَحْمَهُ يومَ القِيامة، يا عليُّ، إياكَ وٱلنَّميمةَ، فلا يَدخُلُ الجنَّة قتّات[1]، يا عليُّ، لا تَحلِفْ بالله كاذباً ولا صادِقاً، يا عليّ، لا تجعلوا اللهَ عُرْضَةً لأيمانِكُمْ، فإنَّ اللهَ لا يرحَمُ ولا يُزَكِّي من يحلِفُ بالله كاذباً.

يا عليُّ، أَمْلِكْ عَلَيْكَ لسانَكَ، وعَوِّدْهُ ٱلخَيْرَ، فإنَّ العَبْدَ يأتي يوم القيامة ليس عليه شيءٌ أشدّ خِيفَةً من لسانه. يا عليُّ، إياكَ واللجاجَةَ، فإنّها ندامة. يا عليُّ، إياكَ والحِرْصَ، فإنَّ الحِرْصَ أَخْرَجَ أباكَ من ٱلجَنَّةِ. يا عليّ. إياكَ وٱلحَسَدَ، فإنَّ ٱلحَسَدَ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النارُ ٱلحَطَبَ. يا عليُّ، وَيْلٌ لِمَن يَكْذِبُ لِيُضحِكَ الناسَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ له.

---

(١) القتّات: النمّام.

يا عليُّ، عَلَيْكَ بالسِّواكِ فإنَّه مَطْهَرَةٌ للفَم، ومَرْضاةٌ للربِّ تعالىٰ، ومجلاةٌ للأسنانِ، يا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بالتَّخَلُّلِ[1]، فإنَّه أبغضُ شيءٍ إلىٰ الملائكةِ أنْ ترى في أسنان ٱلعَبْدِ طعاماً.

يا عليُّ، وأنهاك من حيَّاتِ ٱلبُيوتِ إلاّ الأفطَسَ والأبتَرَ فإنَّهُما شيطانان، يا عليُّ، وإذا رأيتَ حَيَّةً في رَحْلِكَ فلا تَقْتُلْها حتىٰ تُخَرِّجَ[2] عليها ثلاثاً، فإن عادتْ الرابعة فٱقْتُلها. يا عليُّ، وإذا رأيتَ حيَّةً في الطريق فاقتُلها، فإني قدِ ٱشترطتُ علىٰ ٱلجنّ أن لا يظهروا في صورة الحيّات في الطريق، فمن فَعَلَ خَلَّى بِنَفْسِه للقَتْل.

يا عليُّ، أربَعُ خِصالٍ من الشقاءِ، جمودُ ٱلعَيْنِ، وقَساوَةُ القَلْبِ، وبُعْدُ الأَمَلِ، وحُبُّ الدُّنيا، يا عليُّ، أنهاكَ عن أرْبَعِ خِصالٍ عِظامٍ، الحَسدِ، وٱلحرصِ، وٱلغَضَبِ، وٱلكَذِبِ.

يا عليُّ، ألا أنَبِئُكَ بِشَرِّ الناسِ؟ قال: قلتُ: بلىٰ يا رسول الله، قالَ: مَنْ أَكَلَ وحدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ. ألا أنبِئُكَ بشَرٍّ من هؤلاء جميعاً؟ قال: قُلْتُ: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قال: مَن لا يرجىٰ خَيْرُهُ، ولا يُؤمَنْ شرُّهُ.

يا عليُّ، إذا صلَّيْتَ علىٰ جَنازةٍ فَقُلْ: «اللهُم هذا عَبْدُكَ، وٱبنُ عَبْدِكَ، وٱبنُ أَمَتِكَ، ماضٍ فيه حُكْمُكَ، خَلَقْتَهُ، ولم يَكُنْ شيئاً مذكوراً نَزَلَ بِكَ وأنتَ خَيْرُ منزولٍ به، اللهمَّ لَقِّنْهُ حُجَّتهُ، وألحقْه بنبيّه ﷺ، وثَبِّتْهُ بٱلقولِ الثَّابتِ، فإنَّه ٱفتقرَ إليكَ وٱستَغْنَيْتَ عَنْه، كانَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ أنتَ، فٱغْفِرْ لَهُ وٱرحَمْهُ، ولا تَحرِمْنا أجرَهُ، ولا تَفْتِنّا بعْدَهُ، اللهُمَّ إنْ كانَ زاكياً فَزَكِّهِ، وإن كانَ خاطِئاً فٱغْفِرْ له. يا عليُّ، وإذا

---

(١) التخلُّل: تنظيف الأسنان مما يبقى فيها من بقايا الأطعمة.

(٢) أي تضيِّق وتطرد.

صلَّيْتَ علىٰ جَنازَةِ ٱمرأةٍ فَقُلْ: اللهمَّ أنتَ خَلَقْتَها وأنتَ أَحْيَيْتَها، وأنت أَمَتَّها، تَعْلَمُ سرَّها، وعلانِيَتها، جئناكَ شُفَعاء لها، فٱغفِرْ لها وٱرْحَمْها، ولا تَحْرِمْنا أجرَها، ولا تَفْتِنّا بَعْدَها»، وإذا صَلَّيْتَ علىٰ طِفْلٍ فَقُلْ: اللهُمَّ ٱجْعَلْهُ لِوالديه سَلفاً، وٱجْعَلْهُ لَهُما ذَخراً، وٱجْعَلْهُ لهما رشداً، وٱجعله لهما نوراً، وٱجعله لهُما فَرَطاً[1]، وأعقِبْ والديه ٱلجَنَّةَ، ولا تَحرُمْهُما أجرَهُ، ولا تَفْتِنْهُما بعده».

يا عليُّ، إذا تَوَضّأتَ فَقُلْ: «اللهمَّ إني أسأَلُكَ تمامَ ٱلوُضوء، وتمامَ مَغْفِرَتِكَ ورِضوانِكَ».

يا عليّ، إنّ العبدَ المؤمنَ إذا أتىٰ عليه أربعونَ سنةً، أمَّنَه اللهُ من البلايا الثلاثة: ٱلجنونِ، والجذامِ، والبَرَصِ، وإذا أَتَتْ عَلَيْهِ ستّون سنة فهو في إقبال، وبَعْد السِّتّين في إدبارٍ، ورَزَقَه اللهُ الإنابَة فيما يُحِبُّ، وإذا أَتَتْ عليه سبعونَ سنةً أَحَبَّهُ أهل السَّماواتِ؛ وصالحوا أهل الأرضِ، وإذا أَتَتْ عَلَيْهِ ثمانونَ سنة، كُتِبَتْ له حَسناتُه، ومُحِيَتْ عَنْهُ سيِّئاتُه، وإذا أَتَتْ عليه تسعونَ سنةً، غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّر، وإذا أَتَتْ عَلَيْه مائة سنَةٍ كَتَبَ اللهُ ٱسمه في السَّماء؛ أسيرُ اللهِ في أرضه، وكان جَليسَ الله تعالىٰ، يا عليُّ، احفَظْ وصيَّتي، إنَّك علىٰ ٱلحقِّ، والحقُّ معك[2].

☆ ☆ ☆

---

(١) الفرط: المتقدّم في الأَجْر.

(٢) وصايا ابن عربي ص ١٧١ - ١٨١.

الباب الثاني

من وصايا الملوك والخلفاء

إلى ولاة العهد

الفصل الأوّل:

عبد شمس بن وائل بن الغوث يُوصي بنيه بطاعة ابنه الصّوار، ويوصيه

قال عبد شمس[1]:

يا بَنِيَّ، أوصيكُمْ بِطاعَةِ أخيكُمْ الصّوار، فإنّه أكبرُكُمْ وأرْجاكُمْ عِنْدي، وأنْتَ يا أبا السَّمَيْدَع[2] خَلِيفَتي بعد اللهِ تعالىٰ عَلَيْهِمْ، وعلىٰ رَعِيَّتي، وٱحفَظْ مِنِّي خِصالاً لَنْ تَضِلَّ ما ٱقتَدَيتَ بها.

اعلَمْ أنَّ العِزَّ لا يتبيَّنُ في ٱلحَرْبِ إلاّ بِصِدْقِ ٱللقاءِ، وحِمايةِ الأذمارِ[3]، وذلك أمارَةُ الغَلَبَةِ، ولا يتبيَّنُ في سالم النَّاسِ، إلاّ مَنْ مَنَعَ الجارَ، وشموخُ الأَنْفِ عن سَوْمَةِ ٱلخَسْفِ، وٱلحمْلُ علىٰ الدنيَّة، ولَنْ تنالَ ذلك إلاّ بالرِّجالِ، ولَنْ تَعْرِفَ مَعَكَ النَّادِرَ مِنْهُم إلاّ بإبانَةِ قَدْرِهِ عَمَّن لَيْسَ يُغني غِناؤهُ، لأنَّكَ إذا ضَمَمْتَ مِسْماكَيْنِ[4] في أحدِهما قِصَرٌ وَقَعَ ٱلمِحْمَلُ علىٰ الأطولِ، وسَقَطَ الأَقْصَرُ، وكذلك الأَدَقُّ من

(١) هو عبد شمس بن وائل بن الغوث، ملك يمانيّ جاهليّ قديم، من حمير من القحطانيَّة.

(٢) كنية ابنه الصوار.

(٣) الأذمار: الأعراض.

(٤) المسماك: عمود تُرفَع به الخيمة.

الأَجْدَال[1] الحوامل.

وٱعْلَمْ أَنَّ ٱلمُلْكَ بَيْتٌ أساسُهُ ٱلعَدْلُ، وَقَواعِدُهُ التَّدبيرُ، وحِيطانُه التَّيَقُّظُ وأركانُه ٱلحَزْمُ، وَتَلاحُكُهُ[2] الشدَّةُ، وعِمادُهُ الوزراءُ الكُفاةُ، وعَوارِضه[3] ٱلقَادَةُ، ومواحِضُه[4] الأتباعُ، ولا ٱستِقَامةَ لِمُدبري المملَكَةِ، ومُسْتَخرجي الإتاوةِ، إلَّا بِمُصاقَبَةِ[5] قادة الجُيوش، ولا يجملُ قائِدَ ٱلجيشِ، وسائقَ الجماعةِ سِوَىٰ أصحابِ ٱلخِزانَةِ، ورُبَّما وَجَدْتَ مائةَ مُقاتلٍ، وأعجَزَكَ كافٍ، وكثيرٌ أنْ يَصْدُقَ الكرَّةَ ٱلعَشْرَةُ مِنَ المائةِ المقاتلِ، والمائةُ مِنَ الأَلْفِ، والألفُ مِن أَضْعَافِهِ. وأنشأ يقولُ:

أوصي بَنِيَّ وإنْ تقارَبَ بينَهُمْ ... فيما لَدَيَّ بِطاعَةِ الصُّوارِ
وإليكَ يا صُوارُ أوصي بٱلذي ... وحَّىٰ إلَيَّ أُبُوَّتي في ٱلجَارِ
ومَحَلُّ كُلٍّ حَيْثُ يَبْلُغُ قَدْرُهُ ... إذ مَنْ بها مُتَفَاوِتُ الأَقدارِ
إنَّ الأَصابعَ مُسْتَوٍ آصالُها ... وٱلفَرعُ بينَ أطاولٍ وَقِصارِ
وَمِنَ الرِّجالِ الكُلُّ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ ... منه الرِّكابُ وحامِلُ الأَوزارِ
وٱلمُلْكُ بَيْتٌ لا تَقومُ سَماؤُهُ ... إلاّ بأَعْمِدَةٍ رَسَتْ وَجِدارِ
فٱلبَعْضُ مِنْهُ بِبَعْضِهِ مُتَدافِعٌ ... بٱلطِّينِ فَوْقَ الأَرْضِ والأَحْجارِ
ولَرُبَّما عَزَّ ٱلخِيارُ وأُيِّدوا ... وٱستُنْصِروا في الدِّينِ بالأشرارِ[6]

☆ ☆ ☆

(١) الأجدال: الحبال.
(٢) تلاحكه: أساسه.
(٣) العوارض: خشب سقف البيت.
(٤) مواحِضُه: المخلصون له.
(٥) مصاقبة: مقاربة، ومناسبة.
(٦) ملوك حمير وأقيال اليمن ص ٤٤.

الفصل الثاني:

أبو بكر الصِّدِّيق يُوصي عُمر بن الخطاب

قال أبو بكر الصدِّيق[١] يُوصي عمر بن الخطاب[٢] رضي الله عنهما في اليوم الذي قُبِض فيه:

يا عُمَر، صَحِبْتُ رسولَ الله ﷺ، فرأيتُ أَثَرَتَهُ[٣] إيّانا على أهلِهِ، ووالله إن كُنّا لَنُرسِلُ إليهِمْ من فَضْلَةِ ما يأتينا مِنْهُ، وصَحِبْتَني ورأَيْتَني، فواللهِ ما نُمْتُ فَحَلُمْتُ، ولا تَوَهَّمْتُ فَشُبِّهَ لي، وإنّي لعلى بصيرَةٍ من رأي.

يا عُمَر، إنَّ أوَّلَ ما أحذِّرُك به نَفْسكَ، فإنَّ لكُلِّ نَفْسٍ شَهْوَةً، فإذا أجابَتْها إليها دَعَتْها إلى ما هُوَ أعظَمُ مِنْها، وأُحَذِّرُكَ هؤلاء الرَّهْطَ من المُهاجرينَ، فإنّي قد رأيتُهُمْ طَمَحَتْ أبصارُهُمْ، ونُفِخَتْ أجوافُهُمْ،

---

(١) هو عبدالله بن عثمان (٥١ق.هـ/ ٥٧٣م - ١٣هـ/ ٦٣٤م) أوّل الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن بالرسول (ﷺ) من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكّة، ونشأ سيداً من سادات قريش، ومن كبار موسريهم، وعالماً بالأنساب وأخبار القبائل وسياستها. لقّبه العرب بعالم قريش. (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٠٢).

(٢) هو أبو حفص عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ/ ٢٣هـ/ ٦٤٤م). ثاني الخلفاء الراشدين، وأوّل من لقّب بأمير المؤمنين. صحابيّ جليل، وشجاع حازم، وصاحب الفتوحات. يضرب بعدله المثل. وكان من أبطال قريش وأشرافهم. (الزركلي: الأعلام ٥/ ٤٥).

(٣) أَثَرته: تفضيله.

وتمنىٰ كُلُّ امرىءٍ منهم لِنَفْسِهِ، فٱحمِلْهُمْ علىٰ الطَّريقِ الواضحِ يَكْفُوكَ أَنْفُسَهُمْ.

وٱعْلَمْ أَنَّهُمْ لَنْ يزالوا لَكَ هايبين ما هِبْتَ اللهَ عزَّ وجلَّ، فرقينَ مِنْكَ ما فَرَقْتَ منْهُ. هذه وصيَّتي إياكَ، وأقرأ عَلَيْكَ السلام[1].

☆ ☆ ☆

(١) المعمرون والوصايا ص ١٤٨ - ١٤٩.

الفصل الثالث:

عمر بن الخطّاب يُوصي الخليفة من بعده

قال عمر بن الخطاب[١]، رضي الله عنه، يُوصي الخليفة من بعده[٢]:

أوصِيْكَ بِتَقْوىٰ الله لا شريكَ لهُ، وأوصِيْكَ بالمُهاجِرينَ الأَوَّلينَ خَيْراً؛ أَنْ تَعْرِفَ لَهُمْ سابِقَتَهُمْ، وأوصيكَ بالأَنْصارِ خَيْراً، فاْقبَلْ من مُحْسِنِهِمْ، وتجاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

وأوصيكَ بأَهْلِ الأَمْصارِ خَيراً، فإِنَّهُمْ دَرْءُ العَدُوِّ، وجُباةُ الأَمْوالِ والفَيءِ، لا تَحْمِلْ فَيْئَهُمْ إلاّ عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ.

وأوصيكَ بأَهْلِ البادِيةِ خَيْراً، فإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ ومادَةُ الإِسلامِ، أَنْ تأْخُذَ من حواشي أَموالِ أَغْنيائِهِمْ فَتَرُدَّ علىٰ فُقَرائِهِمْ.

وأوصيكَ بأهلِ الذِّمَّةِ خيراً، أَنْ تُقاتِلَ من ورائهم، ولا تُكَلِّفْهُمْ فوق طاقَتِهِمْ إذا أدّوا ما عَليهِم طَوْعاً؛ أو عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرونَ.

وأوصيكَ بتَقوىٰ اللهِ، وشدَّةِ الحَذَرِ منه، ومَخَافَةِ مَقْتِهِ، أنْ يطَّلِعَ مِنْكَ علىٰ رِيبةٍ، وأوصيكَ أنْ تَخْشىٰ اللهَ في النَّاسِ، وتَخْشىٰ الناسَ في اللهِ.

وأوصيكَ بالعَدْلِ في الرَّعِيَّةِ، والتَّفَرُّغِ لحوائِجِهم وثُغورِهِمْ، ولا تُؤْثِرْ

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل السابق.

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٦٥.

غنِيِّهُمْ علىٰ فقيرِهِمْ، فإنَّ ذلك - بإذنِ اللهِ - سلامَةٌ لقَلْبِكَ، وحَظٌّ لِوِزْرِكَ، وخَيْرٌ في عاقِبَةِ أمرِكَ، حتىٰ تُفْضِيَ من ذلك إلىٰ مَنْ يعْرِفُ سريرَتَكَ، ويَحولُ بينَكَ وبينَ قَلْبِكَ.

امُرُكَ أَنْ تَشْتَدَّ في أمرِ اللهِ، وفي حُدوده، ومعاصيه علىٰ قريبِ الناسِ وبعيدِهِمْ، ثمَّ لا تأخُذْكَ في أَحَدٍ الرأفةُ حتىٰ تَنْتَهِكَ مِنْهُ مِثْلَما ٱنتَهَكَ من حُرْمَةِ اللهِ، وٱجْعَلِ الناسَ سواءً عندك، لا تُبالِ علىٰ مَنْ وَجَبَ الحقُّ ولا تأخُذْكَ في اللهِ لومَةُ لائمٍ.

وإياكَ والأَثَرَةَ والمحاباةَ[1]؛ فيما وَلاَّكَ اللهُ ممَّا أفاءَ علىٰ المُؤْمِنينَ، فَتَجُورُ وتَظلِمُ، وتحرِمُ نَفْسَكَ من ذلكَ ما قَدْ وَسَّعَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وقدْ أَصْبَحْتَ بِمَنْزِلَةٍ من مَنازِلِ الدُّنيا والآخرةِ، وأنت إلىٰ الآخِرَةِ أقربُ، فإنِ ٱقْتَرَفْتَ لِدُنياكَ عَدْلاً وعِفَّةً عَمَّا بسَط اللهُ لكَ، ٱقْتَرَفْتَ بهِ إيماناً ورِضواناً، وإن غَلَبَكَ عَلَيْهِ الهَوىٰ، ومالَتْ بكَ شَهْوَةٌ ٱقتَرَفْتَ به سُخْطَ اللهِ ومعاصيهِ.

وأوصيكَ ألاَّ تُرَخِّصَ لِنَفْسِكَ، ولا لِغَيْرِكَ في ظلمِ أهلِ الذِّمَّةِ، وقَدْ أوْصَيْتُكَ وحَضَضْتُكَ، ونَصَحْتُ لَكَ، أبتغي بذلك وَجْهَ اللهِ والدارَ الآخِرَةَ، وٱخْتَرْتُ من دِلالَتِكَ ما كُنْتُ دالاًّ علَيْهِ نَفْسي ووَلدي، فإنْ عَمِلْتَ بالذي وَعَظْتُكَ؛ وٱنتَهَيْتَ إلىٰ الذي أَمَرْتُكَ أَخَذْتَ به نَصيباً وافِياً، وحَظّاً وافِراً، وإن لمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ؛ ولم يَهمّكَ؛ ولم تُنْزِلْ معاظِمَ الأُمورِ عند الذي يَرْضىٰ اللهُ به عَنْكَ، يكُنْ ذلك بكَ ٱنتِقاصاً، ورأيُكَ فيه مَدْخولاً، لأنَّ الأَهواءَ مُشْتَرَكَةٌ، ورأسُ كُلِّ خَطيئةٍ، والداعي إلىٰ كُلِّ هُلْكَةٍ إبليسُ، وقدْ أضلَّ القُرون السَّالِفَةَ قَبْلَكَ، فأورَدَهُمْ النارَ، ولَبِئْسَ

---

(١) الأثرة: الأنانيّة. والمحاباة: عدم العَدْل في المعاملة.

الثَّمَنُ أَنْ يَكونَ حَظُّ ٱمرئٍ مُوالاةً لعَدُوِّ اللهِ، والدَّاعي الىٰ معاصيه.

ثمَّ ٱرْكَبِ ٱلحقَّ، وخُضْ إليهِ الغَمَراتِ، وكُنْ واعِظاً لِنَفْسِكَ، وأَنْشُدُكَ الله لما تَرَحَّمْتَ علىٰ جماعَةِ ٱلمُسْلِمينَ، فأَجْلَلْتَ كَبيرَهُمْ، ورَحْمَتَ صغيرَهُمْ، ووَقَّرْتَ عالِمَهُمْ، ولا تَضْرِبهُمْ فيَذُلّوا، ولا تستأثِرْ عَلَيْهم بالفيءِ فتُغْضِبَهُمْ، ولا تَحْرُمْهُمْ عطاياهُمْ عِنْدَ مَحَلِّها فَتُفْقِرَهُمْ، ولا تُجَمِّرْهُمْ في البُعوثِ فَتَقْطَعَ نَسْلَهُمْ[1]، ولا تَجْعَلِ المالَ دُولةً[2] بينَ الأَغنياء مِنْهُم، ولا تَغْلَقْ بابَكَ دونَهُمْ فيأكُلَ قويُّهُمْ ضعيفَهمْ.

هذه وَصيَّتي إياكَ، وأُشهِدُ الله عَلَيْكَ، وأقرأ عَلَيْكَ السلامَ.

☆ ☆ ☆

(١) أي لا تُطِلْ فترة إرسالهم في الغزاة.

(٢) أي: لا تجعلْه وقفاً على الأغنياء.

الفصل الرابع:

معاوية بن أبي سفيان يُوصي ابنه يزيد

لما حضرتِ الوفاةُ معاوية بن أبي سفيان[1]، وابنه يزيد[2] غائب، دعا مسلم بن عقبة المرّيّ[3]، والضحّاك بن قيس الفهريّ[4]، فقال[5]:

---

(١) هو معاوية بن «أبي سفيان» صخر بن حرب بن أميّة (٢٠ق.هـ/ ٦٠٣م - ٦٠هـ/ ٦٨٠م) مؤسّس الدولة الأمويّة في الشام، وأحد دهاة العرب. كان فصيحاً حليماً وقوراً. ولد بمكّة ولمّا تعلّم الكتابة جعله رسول الله (ﷺ) في كتابه. ولاه عمر على الأردن. نشبت بينه وبين علي بن أبي طالب حروب طاحنة وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة عليّ في العراق (الزركلي: الأعلام: ٧/ ٢٦١).

(٢) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٥هـ/ ٦٤٥م - ٦٤هـ/ ٦٨٣) ثاني ملوك الدولة الأمويّة في الشام. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه. وفي أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد «الحسين بن عليّ» وكان نزوعاً إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. (الزركلي: الأعلام ٨/ ١٨٩).

(٣) هو مسلم بن رباح المرّي (٦٣هـ/ ٦٨٣م) قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي. أدرك النبي (ﷺ) وشهد صفّين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة. وقلعت عينه. غزا المدينة وأسرف في قتل أبنائها، ونهب ممتلكاتهم، فسمّاه أهل الحجاز «مسرفاً». (الزركلي: الأعلام ٧/ ٢٢٢).

(٤) هو الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري (٥هـ/ ٦٢٢م - ٦٥هـ/ ٦٨٤) سيّد بني فهر في عصره، وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها. وشهد صفّين مع معاوية. قام بخلافة معاوية إلى أن قدم يزيد. ولمّا خلع معاوية بن يزيد نفسه انصرف يدعو إلى ابن الزبير في دمشق (الزركلي: الأعلام ٣/ ٢١٤ - ٢١٥).

(٥) المعمّرون ص ١٥٥ - ١٥٦.

أبلغا عني يزيد وقولا له:

أنظُرْ إلى أهل الحجاز، فهُم أصْلُكَ وعِترَتُكَ(١)، فمن أتاك منهم فأكْرِمْهُ، ومن قَعَدَ عَنْكَ فَتَعَهَّدْهُ.

وانْظُرْ إلىٰ أهلِ العراقِ، فإن سألوكَ عَزْلَ عاملٍ لهُمْ في كُلِّ يومٍ فاعزِلْهُ عَنْهُمْ، فإنَّ عزل عاملٍ أَهْوَنُ عليك من سَلِّ مِئَةِ ألف سيف، ثمَّ لا تدري علىٰ ما أَنْتَ عليه منهم.

ثمَّ انظُرْ أهل الشام، فاجعَلْهُمْ الشِّعارَ دونَ الدِّثارِ، فإن رابَكَ من عَدُوِّكَ ريبٌ فارمِهِمْ بهم، فإنْ أظفرَكَ الله بهم، فارْدُدْ أهلَ الشام إلىٰ بلادهم، ولا يُقيموا في غَيْرِ بلادهم فيتأدّبوا بغير أدَبهم.

لسْتُ أخافُ عليك غير عبدالله بن عمر(٢)، وعبدالله بن الزبير(٣)، وحسين بن عليّ(٤)، فأمّا عبدالله بن عمر، فرَجُلٌ قد وَقَذه الوَرَعُ، وأمّا الحسين فإنّي أرجو أن يكفيكَهُ الله بمن قتل أباهُ، وخَذَلَ أخاهُ، وأمّا ابن

---

(١) العترة: العشيرة.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي (١٠ق.هـ/٦١٣م - ٧٣هـ/٦٩٢م) صحابيّ من أعزّ بيوتات قريش في الجاهليّة. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. غزا أفريقيا مرّتين، وكفّ بصره في آخر حياته (الزركلي: الأعلام ١٠٨/٤).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (١هـ/٦٢٢م - ٧٣هـ/٦٩٢م). بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر، والحجاز، واليمن، وخراسان، والعراق، وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويّين وقائع هائلة حتى سيّروا إليه الحجّاج الثقفيّ، فانتصر على ابن الزبير وقتله. (الزركلي: الأعلام ٨٧/٤).

(٤) هو الحسين بن علي بن أبي طالب (٤هـ/٦٤٥م - ٦١هـ/٦٨٠م) السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. تخلّف عن مبايعة يزيد بن معاوية، فوجّه إليه يزيد جيشاً اعترضه في كربلاء، فنشب قتال عنيف، قُتِل فيه الإمام الحسين. ويُعتبر يوم مقتله يوم حزنٍ عند جميع المسلمين، وخاصّةً الشيعة (الزركلي: الأعلام ٢٤٣/٢).

الزبير، فإِنَّهُ خَبٌّ ضَبٌّ، فإذا طلع فاثبت له، فقلَّما مارَسْتَ رَجُلاً مِثْلَهُ، فوالله لو قذفتهُ في بئرٍ مملوءَةٍ زِفتاً لخَرَجَ منها مُتَمَلِّساً.

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس:

أبو جعفر المنصور يوصي ولده المهديّ

قال أبو جعفر المنصور[١] يُوصي ولده المهديّ[٢]:

بسم الله الرحمن الرحيم، هَذا ما عَهِدَ عَبْدُ اللهِ أَميرُ ٱلمؤمنينَ إلىٰ المهدي مُحَمَّدٍ بن أميرِ ٱلمؤْمِنينَ وليِّ عَهْدِ ٱلمُسْلِمينَ حِينَ أَسْنَدَ وَصِيَّتَهُ بَعْدَهُ وٱستَخْلَفَهُ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ مِنَ ٱلمُسْلِمينَ وأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَحُرَمِ اللهِ وَخَزائِنِهِ وأَرْضِهِ التي يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ، وٱلعاقِبةُ للمتَّقينَ.

إنَّ أَمِيرَ المؤمِنينَ يُوصِيكَ بِتَقْوىٰ اللهِ في ٱلبِلادِ، وٱلعَمَلِ بِطاعَتِهِ في ٱلعِبادِ، وَيُحذِّرُكَ ٱلحَسْرَةَ والنَّدامَةَ، وٱلفَضِيحَةَ في ٱلقِيامَةِ، قَبْلَ حُلولِ المَوتِ، وَعَاقِبَةِ ٱلفَوْتِ حينَ تَقولُ: ﴿ربِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِي إلىٰ أجَلٍ قَرِيبٍ﴾[٣]، هيْهَاتَ أَيْنَ مِنْكَ ٱلمَهْلُ، وَقَدِ ٱنْقَضَىٰ عَنْكَ الأَجَلُ، وتقولُ:

(١) هو عبدالله بن محمد بن علي بن العباس (٩٥هـ/٧١٤م - ١٥٨هـ/٧٧٥م) ثاني خلفاء العباسيين، وأوّل من عُني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدّماً في الفلسفة والفلك، محبّاً للعلماء (الزركلي: الأعلام ٤/١١٧).

(٢) هو محمد بن عبدالله المنصور بن محمد (١٢٧هـ/٧٤٤م - ١٦٩هـ/٧٨٦م) من خلفاء الدولة العباسيّة. بنى جامع الرصافة. كان محمود العهد والسيرة، محبّباً إلى الرعيّة، حسن الخُلق والخَلق (الزركلي: الأعلام ٦/٢٢١).

(٣) سورة المنافقون، الآية ١٠.

﴿ربِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صالِحاً﴾(١)، فحِينَئِذٍ يَنْقَطِعُ عَنْكَ أَهْلُكَ، وَيَحِلُّ بكَ عَمَلُكَ، فتَرَىٰ ما قَدَّمَتْهُ يَداكَ، وَسَعَتْ فِيْهِ قَدَماكَ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُكَ، واَسْتَرْكَبَتْ عَلَيْهِ جوارِحُكَ، وَلَحَظَتْ لَهُ عَيْنُكَ، واَنْطَوَىٰ عَلَيْهِ غَيْبُكَ، فتُجزىٰ عَلَيْهِ ٱلجزاءَ الأَوْفى، إنْ شَرّاً فشَرّاً، وإنْ خَيْراً فَخَيْراً، فَلْتَكُنْ تَقْوىٰ اللهِ مِنْ شأنِكَ، وَطَاعَتُهُ من بالِكَ.

استَعِنْ بأللهِ علىٰ دِينِكَ، وتَقَرَّبْ بِهِ إلىٰ رَبِّكَ ونَفْسِكَ، فَخُذْ مِنْها، ولا تجْعَلْها لِلْهَوَىٰ، وَلَنْ تَعْمَلَ الشَّرَّ قامِعاً، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْثَرَ وِزْراً، ولا أَعزَّ إثماً وَلاَ أَعْظَمَ مُصِيبَةً، وَلاَ أَجَلَّ رزيئةً مِنْكَ، لِتَكاثُفِ ذُنوبِكَ وتَضاعُفِ أَعْمالِكَ، إذْ قَلَّدَكَ اللهُ الرَّعِيَّة تَحْكُمُ فِيهِمْ بِمِثْلِ الذرَّةِ(٢)، فَيَقْتَضُونَ مِنْكَ أَجْمَعُونَ، وتُكافى علىٰ أَفْعالِ وُلاتِكَ الظَّالِمينَ، فإِنَّ اللهَ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَة عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(٣)، فكَأَني بِكَ وَقَدْ أُوقِفْت بَيْنَ يَدَي ٱلجَبَّارِ، وخَذَلَكَ الأَنْصارُ، وأَسْلَمَكَ الأَعْوانُ، وَطَوَّقْتَ ٱلخَطَايا، وَقَرَفَتْ بِكَ الذُّنوبُ، وَحَلَّ بِكَ ٱلوَجَلُ، وَقَعَد بِكَ ٱلفَشَلُ، وَكَلَّتْ حِجَّتُكَ، وَقَلَّتْ حِيلَتُكَ، وأُخِذَتْ مِنْكَ ٱلحُقوقُ، واَقتادَ مِنْكَ ٱلمخلوقُ في يَوْمٍ شَدِيدٍ هَوْلُهُ، عَظيمٍ كَرْبُهُ، تَشخَصُ فيهِ الأَبْصارُ لَدَىٰ ٱلحَناجِرِ، كاظِمينَ، ما للظَّالِمينَ مِن حَميمٍ ولا شَفيعٍ يُطاعُ، فَما عَسِيتَ أَنْ يَكونَ حالُكَ يَوْمَئِذٍ إذا خاصَمَكَ ٱلخَلْقُ، واَستَقْصَىٰ عَلَيْكَ ٱلحَقُّ، إذ لا خاصَّةَ تُنْجيكَ، وَقَرابَةَ تَحْمِيكَ، تَطْلُبُ فيهِ التَّباعَةَ، وَلاَ تُقْبَلُ فيهِ الشَّفَاعَةُ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بألعَدْلِ،

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ – ١٠٠.
(٢) الذرّة: النملة.
(٣) سورة الزمر، الآيتان ٣٠ – ٣١.

وَيَقْضَىٰ فيهِ بِٱلفَصْلِ، قال الله: ﴿لا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ ٱلحِسَابِ﴾[1].

فَعَلَيْكَ بالتَّشميرِ لِدينِكَ، وٱلاجْتِهادِ لِنَفْسِكَ، فٱفكُكْ عُنُقَكَ، وَبَادِرْ يَوْمَكَ، وٱحْذَرْ غَدَكَ، وٱتَّقِ دُنياكَ، فإنَّها دُنيا غَادِرَةٌ مُوبِقَةٌ، وَلْتَصْدُقْ للهِ نِيَّتُكَ، وَتَعْظُمْ إليهِ فاقَتُكَ، وَلْيَتَّسِعْ إنصافُكَ، وَيَنْبَسِطْ عَدْلُكَ، ويُؤْمَنْ ظُلْمُكَ، وَوَاسِ بَينَ الرَّعِيَّةِ في الاحتِكامِ، وٱطلُبْ بِجُهْدِكَ رِضَىٰ الرَّحْمَنِ.

وأهْلُ الدِّينِ، فَلْيَكُونوا أَعْضَادَكَ، وأَعْطِ حَظَّ ٱلمُسْلِمينَ مِنْ أَمْوالِهِمْ، وَوَفِّر لَهُمْ فَيْأَهُمْ، وَتَابِعْ أعْطِياتِهِمْ عَلَيهِمْ، وعَجِّلْ بِنَفَقَاتِهِمْ إلَيْهِمْ سَنَةً سَنَةً، وشَهْراً شَهْراً. وعَلَيْكَ بِعِمَارَةِ ٱلبِلادِ بِتَخْفِيفِ ٱلخَراجِ، وٱسْتَصْلِحِ ٱلنَّاسَ بِٱلسيرَةِ ٱلحَسَنَةِ وٱلسياسَةِ ٱلجَميلةِ، وَلْيَكُن أَهَمُّ أُمورِكَ إِلَيْك تَحَفُّظَ أطرافِكَ، وَسَدَّ ثُغورِكَ وأكماشَ بُعوثِكَ.

وٱرْغَبْ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في ٱلجِهادِ وَٱلمُحَاماةِ عَنْ دينِهِ، وإهلاكِ عَدُوِّهِ بِما يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ ٱلمُسْلِمينَ، وَيُمكِّنُ لَهُمْ في ٱلدينِ، وٱبذُلْ في ذلِكَ مُهْجَتَكَ وَنَجْدَتَكَ وَمَالَكَ، وَتَفَقَّدْ جُيُوشَكَ لَيْلَكَ وَنَهارَكَ، وٱصرِفْ مَرَاكِزَ خَيْلِكَ، وَمَواطِنَ رَحْلِكَ، وَبِٱللهِ فَلْيَكُنْ عِصْمَتُكَ وَحَوْلُكَ وَقُوَّتُكَ، وَعَلَيْهِ فَلْيَكُنْ ثِقَتُكَ وٱقتِدارُكَ وَتَوَكُّلُكَ، فإنَّهُ يَكْفيكَ وَيُغْنِيكَ وَيَنْصُرُكَ، وَكَفَى بِهِ مُؤَيداً وَنَصِيراً.[2]

☆ ☆ ☆

وقال في وَصيّة أخرى[3]:

(١) سورة غافر، الآية ١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩٢ - ٣٩٤.

(٣) جمهرة وصايا العرب ص ١٠٨- ١٠٩.

أوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمُراقَبَتِهِ، وَعَلَيْكَ بإكرامِ أَهْلِ بَيْتِكَ وإعظامِهِمْ، وَلاَ سِيَّما مَنِ ٱستَقامَتْ طريقَتُهُ، وَطَهُرَتْ سيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ مودَّتُهُ فِيهِمْ، فإِنَّ أقرَبَ ٱلوَسائِلِ ٱلمودَّةُ، وأبعَدَ الطِّيبِ ٱلبُغْضَةُ، وٱذْكرْ أَهْلَ ٱلجَزالةِ وٱلفَضْلِ وٱلعَقْلِ مِنهُمْ، فَشَرِّفْهُمْ وأَوْطِىءِ الرِّجالَ أَعْقابَهُمْ، فإنَّهُ لا يَزالُ لأمْرِ ٱلقَومِ فِطامٌ ما كانَتْ لَهُمْ أَعلامٌ، وأَجْزِلْ لَهُمُ الإعطاءَ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ في الأَرْزاقِ، فإِنَّ أكثَرَ ٱلنَّاسِ مَؤونةً أَعْظَمُهُمْ مُروءَةً، ثُمَّ لِيَكُن مَعروفُكَ لِغَيْرِهِمْ بَعْدَهُمْ، فإِنَّ الصِّلَةَ تُزيدُ الإلفَة، وصُفْهُم يَنبُلوا، ولا تَبْذِلْهُمْ فَيَخْلَعوا.

وٱعلَمْ أنَّ رِضا النّاسِ غايةٌ لا تُدْرَكُ، فَتَحَبَّبْ إِلَيْهِمْ بالإِحسانِ جُهْدَكَ، وَتَثبَّت فيما يَرِدُ مِن أُمورِهِمْ عَلَيْكَ، وَوَكِّلْ هُمومَكَ بأُمورِكَ، وتَفَقَّدِ الصَّغيرَ، تَفَقُّدَكَ ٱلكبيرَ، وَخُذْ أُهْبَةَ الأَمْرِ قَبْلَ حُلُولِهِ، فإِنَّ ثَمَرَةَ التَّواني الإِضاعَةُ، وَكُنْ عِنْدَ رأسِ كُلِّ أَمْرٍ لا عِنْدَ ذَنبِهِ، فإِنَّ ٱلمُسْتَقْبِلَ لأَمرِهِ سابِقٌ، وٱلمُستَدبِرَ لَهُ مَسبوقٌ، وَوَلِّ أُمورَكَ ٱلفاضِلَ يَكُنْ مُسْتَعْلِياً، وَلا تُوَلِّ ٱلمَفْضُول فإِنَّهُ مُزْرٍ بٱختِيارِكَ، وٱنظُرِ الأَموالَ فإنَّها عِدَّة ٱلمُلوكِ، وَبِها السُّلطانُ وَنِظامُ التَّدبيرِ، فَوَفِّرْها بِوِلايةِ أَهْلِ ٱلعَفَافِ عَنْهَا، وٱلحِيطَةَ عَلَيْها، وَلا تَبْذُلْها إلاّ في إِصلاحِ أُمورِ السُّلطانِ والرَّعِيَّةِ، وثَوابِ أَهلِ الطاعَةِ والنَّصِيحَةِ.

وأَحسِنْ إلىٰ نُصَحائِكَ، وٱستَدِمْ مودَّتَهُمْ وَمَحبَّتَهُمْ بِجَميلِ ٱلتَّعَهُّدِ لَهُمْ، والتَّـفَقُّدِ لأُمورِهِمْ، ولا تُعْطِ عَطِيَّةً تُبطِرُ ٱلخَاصَّ، وتُؤسِفُ ٱلعَامَّ، وٱجعَلْ لِكُلٍّ إِلَيْكَ حاجةً، وٱجعَلْ لَهُمْ مِن فَضْلِكَ مادَّة، وٱسمَعْ مِن أَهْلِ التَّجارِبِ، وَلاَ تَرُدَّنَّ ذوي ٱلرأيِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلىٰ التَّعَبِ في إِصلاحِ الرَّعِيَّةِ، وٱترُكِ ٱلهُوَينا وٱلدَّعَةَ، وٱعلَمْ أَنَّ ذَهَابَ السُّلطانِ يُؤتىٰ مِن ثَلاثَةِ أمورٍ: قِلَّةِ ٱلحَزْمِ، وَضَعْفِ ٱلعَزْمِ، وَفَقْدِ صالِحِ الأَعوانِ، وإِنَّ

ثَباتَهُ بأربَعِ خِلالٍ: المعرِفَةِ، وحُسْنِ التَّخَيُّرِ، وإمضاءِ الاِختيارِ، وَتَنَكُّبِ أَهلِ الحِرْصِ، فإِنَّ الحَرِيصَ لا يَبيعُكَ باليَسيرِ مِن حَظِّهِ وشَرِّهِ، والوُزراءُ أَضَرُّ الأعداءِ، وَمَنْ خانَكَ كَذَبَكَ، وَمَنْ كَذَبَكَ غَشَّكَ.

وٱعلَمْ أنَّ مادَّةَ الرأيِ المشاوَرَةُ، فٱختَرْ لِمُشاوَرَتِكَ أَهْلَ ٱللُّبِّ وٱلرَّأْيِ وٱلصِّدْقِ وكُتْمانِ السِّرِّ ،وكافىء بٱلحَسَنَةِ ،وتَجَاوَزْ عَنِ السَّيِّئَةِ،ما لَمْ يَكُنْ في ذلِكَ ثَلْمُ دِينٍ ، وَلا وَهَنُ سُلْطانٍ، وَدَعِ الاِنتِقامَ فإِنَّهُ أَسْوأُ أَفْعالِ ٱلقَادِرِ، وَقَدِ ٱستَغْنَىٰ عَنِ الحِقْدِ مَنْ عصتهم عن ٱلمجازاة، وَعَاقِبْ بِقَدْرِ الذَّنْبِ، وٱعْفُ عَنِ ٱلخَطأ، وأَقِلِ ٱلعَثَراتِ مِن أَهْلِ الرَّحْمَةِ وٱلبَلاءِ، وَعَلَيْكَ بِبلادِ نِعْمَتِكَ وَمَوالِيكَ مِنَ أَهْلِ خُراسانَ وغَيْرِها من الآفاقِ، فإِنَّهُمْ أَنْصَحُ النَّاسِ، وأشَدُّهُمْ سَعْياً في بقاءِ دَوْلَتِكَ، فإِنَّما عِزُّهُمْ بِعِزِّكَ، وَتَجنَّبْ دَقِيقَ أَخلاقِ ٱلعِراقِ، فإِنَّهُمْ نَشَأُوا علىٰ ٱلخُبثِ ومَذْمومِ ٱلخَلاقِ، وإذا أطلَعْتَ مِن خاصِّيَّتِكَ وأَهْلِ نِعْمَتِكَ علىٰ مُفْسِدٍ لِنَصيحَتِكَ فَلا تُقِلْهُ عُثْرَةً، وَلا تَرْعَ لَهُ حُرْمَةً، وَدَعِ الاِعتِزاز بِهِ، فإنَّك إنِ ٱغتَرَرْتَ بِهِ كُنْتَ كَمُدْخِلِ ٱلحَيَّةِ دونَ شِعارِهِ إن شاءَ الله.

☆ ☆ ☆

الباب الثالث

من وصايا الخلفاء وغيرهم
إلى أمراء الجيوش

(وصايا الحرب)

الفصل الأوَّل:

أكثم بن صيفي يُوصي بني تميم

قال أكثم بن صيفي[1]، يُوصي بني تميم يوم الكلاب[2]، حين سارت إليهم مذحج[3]:

استشيروا، وأقِلّوا الخلاف على أُمرائِكمْ، وإيّاكم وكثرة الصياح في الحرب، فإنّ الصّياح من الفشل، وكونوا جميعاً[4]، فإنّ الجميع غالب، والمرءُ يعجز لا المحالة[5]، تثبَّتُوا ولا تُسارعوا، فإنّ أحزم الفريقين أركنهما ـ وربّ عجلةٍ تهبُ رَيْثاً[6]. وتنمَّروا للحرب، وادّرعوا الليل، واتَّخذوه جَمَلاً[7]، فإنَّ الليل أخفى للويل[8]، ولا جماعة لمن اختلف.

☆ ☆ ☆

---

(١) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث (٠٠٠-٩هـ/ ٦٣٠م) حكيم العرب في الجاهليّة. عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم يَرَ النبيّ (ﷺ)، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه (الزركلي: الأعلام ٦/٢).

(٢) هو معركة جرت بين بني تميم وبني مذحج.

(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ١٣٥.

(٤) أي: متعاونين.

(٥) هذا مثل عربيّ ومعناه أنّ الحِيَل لا يضيق بها إلاّ العاجز.

(٦) الريث: البطء، وهذا مثل عربي يضرب لضرورة التأنّي.

(٧) هذا مثل عربي.

(٨) هذا مثل عربي

الفصل الثاني:

أبجر بن جابر يوصي بنيه

قال أبجر بن جابر[1] لبنيه[2]:

يا بَنِيَّ، إنْ سَرَّكُمْ طولُ ٱلبَقَاءِ، وَحُسْنُ الثَّناءِ، وٱلنِّكايَةُ في الأعداءِ، فإذا ٱسْتَقْبَلْتُمُ ٱلخَمِيسَ، فٱستَقْبِلوهُمْ بِوُجوهِكُمْ، وإِيّاكُمْ أَنْ تَمْنَحوهُمْ أكتَافَكُمْ فَتُطْعَنوا بٱلرِّماحِ في أدبارِكُمْ، فإنَّ أَمْثَلَ ٱلقومِ بَقِيَّةً ٱلصَّابِرُ عِنْدَ نُزولِ الحقائقِ.

☆ ☆ ☆

---

(١) هو أبجر بن جابر العجليّ، من بني بكر من وائل. كان نصرانيًا، وأدرك الإسلام، ولم يُسلم. كان ابنه حجار سيد بني بكر. مات أيام مقتل الإمام علي بن أبي طالب.

(٢) المعمرون ص ١٣٩.

الفصل الثالث:

أبو بكر الصِّدِّيق يوصي أسامة بن زيد

قال أبو بكر الصِّدِّيق[(١)] يوصي أسامة بن زيد[(٢)] حين سيَّره إلى أبنى[(٣)]:

يا أَيُّها الناسُ، قِفُوا أوصيكُمْ بِعَشْرٍ فٱحفظوها عنّي، لا تَخونوا، ولا تَغُلّوا، ولا تَغْدُروا، ولا تُمَثِّلوا ولا تَقْتُلوا طفلاً صَغيراً، ولا شَيخاً كبيراً، ولا ٱمرأةً، ولا تَقْعَروا نَخْلاً[(٤)] ولا تُحرِقوهُ، ولا تَقْطَعوا شَجَرةً مُثْمِرَةً، ولا تَذْبَحوا شاةً، ولا بَقَرَةً، ولا بَعيراً إلاّ لمأكَلَةٍ، وسوفَ تَمرُّونَ بأقوامٍ قَدْ فَرَّغوا أَنْفُسَهُمْ في الصَّوامِعِ؛ فَدَعُوهُمْ وما فَرَّغوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وسوفَ تَقدِمونَ علىٰ قَوْمٍ يأتونكُمْ بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعامِ، فإذا أَكَلْتُمْ منها شيئاً بعد شيءٍ فٱذكُروا ٱسمَ الله عَلَيْها، وتَلْقَون أقواماً قد فَحَصوا أوساطَ رؤوسِهِم. وَتَركوا حولَها مِثْلَ ٱلعَصَائبِ، فاخفِقوهُمْ بالسَّيْفِ خَفقاً. اندفعوا باسم الله.

☆ ☆ ☆

---

(١) تقدَّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة (٧ق.هـ/ ٦١٥م - ٥٤هـ/ ٦٧٤م) صحابيّ جليل، ولد بمكّة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله (ﷺ) يحبه كثيراً، فأمّره قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وكان مظفَّراً (الزركلي: الأعلام ١/ ٢٩١).

(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ١٨٧.

(٤) أي: لا تقتلعوه.

الفصل الرابع:

أبو بكر الصدّيق يوُصي خالد بن الوليد

قال أبو بكر الصدِّيق(١) يُوصي خالد بن الوليد(٢)، لمّا جهَّزه لقتال أهل الردّة(٣).

يا خالدُ، عَلَيْكَ بِتقوىٰ الله، والرِّفْقِ بِمَن مَعَكَ من رَعِيَّتِكَ، فإنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ، أهلَ السَّابِقَةِ منَ ٱلمُهاجرينَ والأنصار، فشاوِرْهُمْ فيما نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ لا تُخالِفْهُمْ، وقدِّمْ أمامَكَ ٱلطَّلائِعَ تَرْتَدْ إليكَ المنازِل، وسِرْ في أَصْحابِك علىٰ تَعْبيةٍ جيِّدَةٍ، فإذا لَقيتَ أسداً وغَطفانَ، فبعضهم لَكَ، وبَعْضُهُمْ عَلَيْكَ، وبَعْضُهُمْ لا عَلَيْكَ ولا لَكَ، مُتَرَبِّصٌ دائِرَةَ السُّوءِ، يَنْظُرُ لِمَنْ تكونُ الدائرةُ، فَيَميلُ مع مَن تكونُ الغَلَبَةُ، ولكنَّ ٱلخَوْفَ عِندي من أهلِ ٱليمامة، فٱستَعِنْ باللهِ علىٰ قِتالِهِمْ، فإنَّهُ بلغني أنَّهُمْ رَجَعَوا بأسرِهِمْ، فإنْ كفاكَ اللهُ الضَّاحِيةَ فٱمضِ إلىٰ أهْلِ اليمامة. سِر علىٰ بَرَكَةِ الله.

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ (٠٠٠ - ١٢هـ/٦٤٢م). كان من أشراف قريش في الجاهلية. أسلم قبيل فتح مكة، فولاّه الرسولُ (ﷺ) الخيلَ. ولمّا ولي أبو بكر وجّهه لقتال مسيلمة ومن ارتدّ من أعراب نجد، ثمّ سيّره الى العراق سنة ١٢هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه. كان مظفّراً خطيباً فصيحاً. (الزركلي: الأعلام ٢/ ٣٠٠).

(٣) جمهرة وصايا العرب ١/ ١٥١.

الفصل الخامس:

أبو بكر الصّدّيق يُوصي سعد بن أبي وقّاص

قال أبو بكر الصدِّيق[1] يوصي سعد بن أبي وقّاص[2] حين أَمّره على حرب العراق[3]:

يا سَعْدُ سَعْدَ بني وُهَيْب، لا يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللهِ أَنْ قيلَ خالُ رَسولِ اللهِ ﷺ، وصاحِبُ رسولِ اللهِ فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يَمْحوا السَّيِّىءَ بالسَّيِّىءِ، ولكنه يمحو السَّيِّىء بٱلحسنِ، فإنَّ اللهُ لَيْسَ بينَهُ وبينَ أَحَدٍ نَسَبٌ إلاّ طاعَتُهُ، فالناسُ شَريفُهُمْ ووَضيعُهُمْ في ذاتِ اللهِ سواءٌ، اللهُ ربُّهُمْ، وهُمْ عِبادُهُ، يَتفاضَلونَ بٱلعافيةِ، ويُدْرِكونَ ما عِنْدَهُ بالطّاعَةِ، فٱنظُرِ الأَمْرَ الذي رأيْتَ النبيَّ ﷺ مُنْذُ بُعِثَ إلىٰ أَنْ فارَقَنا فٱلزَمْهُ، فإنَّهُ الأمرُ، هذه عِظَتي إياكَ، إنْ تَرَكْتَها وَرَغِبْتَ عنها حَبِطَ عَمَلُكَ، وكُنْتَ مِنَ ٱلخَاسِرين.

☆ ☆ ☆

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني، من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف (٢٣ق.هـ/ ٦٠٠م - ٥٥هـ/ ٦٧٥م) الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستّة الذين عيّنهم عمر للخلافة، وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة، ويقال له فارس الإسلام (الزركلي: الأعلام ٣/ ٧٨).

(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٤.

الفصل السادس:

عمر بن الخطاب يُوصي سعد بن أبي وقّاص لمّا وجّهه لقتال الفرس

قال عمر بن الخطاب(١)، رضي الله عنه، يُوصي سعد بن أبي وقّاص(٢)، لمّا وجّهه لقتال الفرس(٣).

إني قَدْ وَلَّيْتُكَ حَرْبَ ٱلعِراقِ، فاحْفَظْ وَصِيَّتي، فإنَّكَ تَقْدِمُ علىٰ أمْرٍ شديدٍ كَريهٍ، لا يُخَلِّصُ منه إلاّ ٱلحَقُّ، فَعَوِّد نَفْسَكَ ومَنْ مَعَكَ الخَيْرَ وٱسْتَفْتِحْ به، وٱعلَمْ أَنَّ لكُلِّ عادَةٍ عَتاداً، فعتادُ الخيرِ الصَّبْرُ، فالصَّبْرَ الصبْرَ علىٰ ما أصابَكَ أو نابَكَ، يجتمع لَكَ خَشْيَةُ اللهِ، وٱعلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ تَجْتَمِعُ في أمْرَيْنِ، في طاعَته، وٱجتِناب مَعْصِيَتِه، وإنَّما أطاعَه مَن أطاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنيا وحُبِّ الآخِرَة، وعصاهُ مَنْ عَصاهُ بحُبِّ الدُّنيا وبُغْضِ الآخِرَةِ، وللقُلوبِ حقائِقُ يُنْشِئُها اللهُ إنشاءً، منها السِّرُّ، ومنها العَلانِيَة، فأما ٱلعَلانيَة فأنْ يكونَ حامِدُهُ وذَامُّهُ في ٱلحَقِّ سَواءً، فلا تزهَدْ في التَّحَبُّب، فإنَّ النبيينَ قد سألوا محبَّتَهُمْ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ بمنزِلَتِكَ عند الناسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ معك في أمْرِكَ.

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.
(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل السابق.
(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٥.

الفصل السابع:

علي بن أبي طالب يُوصي معقل بن قيس الرياحيّ

قال الإمام علي بن أبي طالب[1]، رضي الله عنه، يُوصي معقل بن قيس الرياحيّ[2]، حين أرسله إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل[3]:

اتَّقِ اللهَ الذي لا بُدَّ لكَ من لقائه، ولا مُنْتَهَىٰ لكَ دونَه، ولا تُقاتِلَنَّ إلاّ مَنْ قاتَلَكَ، وسِرِ البَرْدَينِ[4]، وغوِّرْ بالنّاسِ، ورَفِّه بالسَّيْر، ولا تَسِرْ أوّلَ الليلِ، فإنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدَّرَهُ مَقاماً لا ظَعَناً، فأرِحْ فيه بَدَنَكَ، ورَوِّحْ ظهرَكَ، فإذا وَقَفْتَ حينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أو حينَ ينفَجِرُ الفَجْرُ، فسِرْ علىٰ بَرَكَةِ اللهِ، فإذا لقيتَ العَدُوَّ فَقِفْ من أصحابِكَ وَسَطاً، ولا تَدْنُ مِنَ ٱلقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يريدُ أن يَنْشِبَ الحربَ، ولا تَبَاعَدْ عَنْهُم تباعُدَ مَن يَهابُ البأسَ حتىٰ يأتِيكَ أمري، ولا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ علىٰ قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ والإعذارِ إليهم.

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من كتابنا هذا.

(٢) هو معقل بن قيس الرياحيّ (٠٠٠-٤٣هـ/ ٦٦٣م) قائد من الشجعان الأجواد. كان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة علي بن أبي طالب (الزركلي: الأعلام ٧/ ٧١م).

(٣) نهج البلاغة ٣/ ١٤.

(٤) أي: سِرْ في الغداة والعشِيّ.

الفصل الثامن:

عليّ بن أبي طالب يوصي عسكره

قال الإمام علي بن أبي طالب[١]، رضي الله عنه، يُوصي عسكره قبيل معركة صفّين[٢]:

لا تُقاتِلوهُمْ حتىٰ يبدأوكُمْ، فإنَّكُمْ بحمدِ الله علىٰ حُجَّةٍ، وتركُكُمْ إياهُمْ حتىٰ يبدأوكم حُجَّةٌ أخرىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فإذا كانت الهَزيمَةُ بإذنِ اللهِ، فلا تقتُلوا مُدْبراً، ولا تُصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجهِزوا علىٰ جَريحٍ، ولا تَهيجوا النِّساءَ بأذىً وإن شتَمْنَ أعراضَكُمْ وسَبَبْنَ أمراءَكُمْ، فإنَّهُنَّ ضَعيفاتُ القُوىٰ والأنفُسِ والعُقولِ، إنْ كُنّا لَنُؤمَرُ بالكَفِّ عَنْهُنَّ وإنَّهُنَّ لَمُشْرِكاتٌ، وإنْ كانَ الرَّجُلُ ليتناوَلُ المرأةَ في الجاهلية بالفِهْرِ أو الهراوةِ فيُعَيَّرُ بها وعَقِبُه من بعدهِ.

☆ ☆ ☆

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأوّل من كتابنا هذا.
(٢) نهج البلاغة ٣/ ١٤.

الفصل التاسع:

أبو جعفر المنصور يُوصي عيسى بن موسى

قال أبو جعفر المنصور[1] يُوصي عيسى بن موسى[2] لمّا وجّهه لحرب بني عبدالله بن الحسن[3]:

يا أبا موسىٰ، إذا صِرْتَ إلىٰ ٱلمَدينَةِ فٱدعُ محمد بن عبدالله بن ٱلْحَسَن إلىٰ الطَّاعَةِ والدُّخولِ في ٱلجَماعَةِ، فإِنْ أجابَكَ فٱقْبَلْ مِنْهُ، وإنْ هَرَبَ مِنْكَ فَلاَ تَتْبَعْهُ، وإنْ أبى إلاّ ٱلحَرْبَ فَناجِزْهُ وٱستَعِنْ باللهِ عَلَيْهِ، فإِذَا ظَفِرْتَ بِهِ فَلاَ تُخِيفَنَّ أَهْلَ ٱلمدنيةِ، وعِمْهُمْ بٱلعَفْوِ، فإِنَّهُمُ الأَصْلُ وٱلعَشِيرَةُ، وذُرِّيَّةُ المهاجرينَ والأَنصَارِ، وَجِيرانُ قَبرِ ٱلنَّبيّ صلىٰ اللهُ عليهِ وسَلَّمْ، فَهَذِهِ وَصِيَّتي إياكَ، لا كما أَوْصَىٰ بِهِ يَزِيدُ بن مُعَاويةَ مسلم بن عقبة حين وَجَّهَهُ إلىٰ المدينَةِ وأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ إلىٰ ثَنِيَّةِ ٱلوَدَاعِ، وأنْ يُبِيحَها ثَلاثَةَ أيَّامٍ فَفَعَلَ، فلما بَلَغَ يزيدَ ما فَعَلَهُ تَمَثَّلَ بِقَولِ ابن

(١) تقدَّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد العبّاسيّ (١٠٢هـ/ ٧٢١م - ١٦٧هـ/ ٧٨٣م) أمير من الولاة القادة، وهو ابن أخي السفّاح. كان من فحول أهله أو ذوي النجدة والرأي منهم، وله شعر جيد. ولاّه عمه الكوفة وسوادها، وجعله وليّ عهد المنصور (الزركلي: الأعلام ٥/ ١٠٩ - ١١٠).

(٣) العقد الفريد ٥/ ٨٦ - ٨٧.

الزِّبَعْرَىٰ في يوم أُحُد حيثُ قال:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدوا　　جَزَعَ ٱلخَزْرَجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ

ثمَّ ٱكتُبْ إلىٰ مَّكةَ بالْعَفْوِ عَنْهُمْ والصَّفْحِ، فإنَّهُمْ آلُ اللهِ وَجِيرانُه وسكانُ حَرَمِهِ وأَمْنِه، وَمَنْبِتُ ٱلقَوْمِ والعَشِيرَة، وَعُظَّمُ ٱلبيتِ والحَرَمِ، لا تَلْحَدْ فيه بِظُلْمٍ، فإنَّهُ حَرَمُ اللهِ الذي بَعَثَ منه نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ، وشَرَّفَ بهِ آباءَنا لِتَشريفِ اللهِ إيانا، فَهذِه وَصِيَّتي، لا كَما أَوصىٰ بهِ الذي وَجَّهَ ٱلحجَّاجَ إلىٰ مَكَّةَ، فأَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ ٱلمجانِيقَ علىٰ الكَعْبَةِ، وأنْ يَلْحَدَ في ٱلحَرَمِ بِظُلْمٍ فَفَعَلَ، فَلمّا بَلَغَهُ الخَبَرُ تَمَثَّلَ بِقَولِ عمرو بن كلثوم.

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا　　فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ ٱلجَاهِلينا
لَنا الدُّنيا وَمَنْ أضحىٰ عَلَيْها　　ونَبْطُشُ حينَ نَبْطُشُ قادِرينا

☆ ☆ ☆

الباب الرابع

من وصايا الخلفاء
الى ولاة الأمطار

الفصل الأول:

علي بن أبي طالب يُوصي قيس بن سعد

قال عليّ بن أبي طالب(1)، رضي الله عنه، يُوصي قيس بن سعد(2)، حين ولاّه مصر(3):

سِرْ إلىٰ مِصْر فَقَدْ وَلَّيْتُكَها، وٱخْرُج إلىٰ رحْلِكَ، وٱجْمَعْ إلَيْكَ ثِقاتَكَ، ومَنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَصْحَبَكَ حتىٰ تأتِيَها ومَعَكَ جُنْدٌ، فإنَّ ذلك أَرْعَبُ لعَدوِّكَ، وأعَزُّ لوَلِيِّكَ، فإذا أَنْتَ قدِمتَها إن شاءَ اللهُ فأَحْسِنْ إلىٰ المُحْسِنِ، وٱشْتَدَّ علىٰ المُريبِ، وٱرفُقْ بالعامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ.

☆ ☆ ☆

---

(1) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

(2) هو قيس بن سعد بن عبادة (٠٠٠هـ/ ٦٨٠ م) والٍ صحابيّ، من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، وكان يحمل راية الأنصار مع النبيّ (ﷺ)، ويلي أموره، صحب عليّاً في خلافته، فاستعمله على مصر (الزركلي: الأعلام ٥/ ٢٠٦).

(3) تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٧.

الفصل الثاني:

معاوية بن أبي سفيان يُوصي عمرو بن العاص

قال معاوية بن أبي سفيان(١) يُوصي عمرو بن العاص(٢) لمّا وجّهه إلى مصر(٣):

أوصيكَ يا عَمْرو بتقوىٰ الله والرِّفْقِ، فإنَّهُ يُمْنٌ، وبالمَهَلِ والتُّؤدَةِ، فإنَّ العجلةَ من الشيطانِ، وبأَنْ تَقْبَلَ مِمَّنْ أَقْبَلَ، وأنْ تَعْفُوَ عَمَّن أَدْبَرَ، فإنْ قَبِلَ فبها ونِعْمَتْ، وإن أَبَى، فإنَّ السَّطْوَةَ بعْدَ المَعْذِرَةِ أَبْلَغُ في الحجَّةِ، وأَحْسَنُ في العاقِبَةِ، وأدعُ النَّاسَ إلىٰ الصُّلْحِ والجماعَةِ، فإذا أنتَ ظَهَرْتَ فَلْيَكُنْ أنصارُكَ آثَرَ النَّاسِ عِنْدَكَ، وكُلَّ النَّاسِ فأَوْلِ حَسَناً.

☆ ☆ ☆

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الرابع من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهميّ (٥٠ ق هـ/ ٥٧٤م- ٤٣هـ/ ٦٦٤ م) فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الحزم والرأي والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشدّاء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولاّه النبيّ (ﷺ) إمرة جيش ذات السلاسل، ثمّ استعمله على عُمان. كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهوالذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية. ولاّه عمر فلسطين، ثمّ مصر فافتتحها (الزركلي: الأعلام ٥/ ٧٩).

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧.

الفصل الثالث:

مروان بن الحكم يُوصي ابنه عبد العزيز

قال مروان بن الحكم[1] يوصي ابنه عبد العزيز[2] حين استعمله على مصر، فقال له حين ودَّعه: أَرْسِلْ حكيماً ولا تُوصه[3]:

أي بُنَيَّ، اُنْظُرْ إلىٰ أَعْمالِكَ، فإنْ كانَ لَهُمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غُدْوَةً، فلا تُؤَخِّرهُ إلى عشيّةٍ، وإنْ كان لهُمْ عَشِيَّةً، فلا تُؤَخِّرْهُ إلىٰ غُدوةٍ، وأَعْطِهِمْ حُقوقَهُمْ عِنْد مَحَلِّها تَسْتَوْجِبْ بذلك الطَّاعَةَ مِنْهُمْ.

وإيّاكَ أَنْ يَظْهَرَ لرعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذبٌ، فإنَّهُم إنْ ظهرَ لهُمْ مِنْكَ كَذِبٌ لم يُصَدِّقُوكَ في الحَقِّ.

وٱستَشِرْ جُلَساءَكَ وأَهْلَ العِلْمِ، فإنْ لمْ يَسْتَبِنْ لكَ؛ فاكتُبْ إليَّ، يأتِكَ

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص (٢هـ/٦٢٣م - ٦٥هـ/٦٨٥م) خليفة أموي، وأوّل من ضرب الدنانير الشاميّة. توفّي بدمشق بعد أن حكم تسعة أشهر و١٨ يوماً (الزركلي: الأعلام ٧/٢٠٧).

(٢) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٠٠٠ - ٨٥هـ) ولي مصر لأبيه. فسكن حلوان، وبنى فيها الدور والمساجد، وغرس بها كرماً ونخيلاً، وتوفي بها (الزركلي: الأعلام ٤/٢٨).

(٣) العقد الفريد ١/٤٢؛ والقول الأخير مثل عربيّ.

رأيي فيه إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

وإنْ كانَ بِكَ غَضَبٌ علىٰ أَحَدٍ من رَعِيَّتِكَ، فلا تُؤاخِذْهُ فيه عِنْدَ سَوْرَةِ الغَضَبِ، وٱحبِسْ عَنْهُ عُقوبَتَكَ حتىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ، ثمَّ يكون مِنْكَ ما يكونُ وأنْتَ ساكِنُ الغَضَبِ، مُنْطَفِيء الجمرة، فإنَّ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ السِّجْنَ كانَ حَليماً ذا أناةٍ.

ثمَّ ٱنظُرْ إلىٰ أهْلِ الحَسَبِ والدِّين والمُروءَةِ، فلْيَكونُوا أصحابَكَ وجُلساءَكَ، ثمَّ ٱعرِفْ مَنازِلَهُمْ منكَ علىٰ غير ٱستِرْسالٍ، ولا ٱنْقِباضٍ. أقولُ هذا وأستَخْلِفُ اللهَ عَلَيْكَ.

☆ ☆ ☆

الباب الخامس

من وصايا الآباء
إلى الأبناء

الفصل الأوَّل:

وصيَّة أحيقار الى ابنه نادان

كان أحيقار الحكيم مستشاراً في بلاط الملك الآشوريّ سنحاريب (٧٠٥ـ٦٨١ق. م) وبلاط الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ـ ٦٦٨ق. م). كان كثير المال، متعدِّد الزوجات، ولكنَّه لم يكن له ابن يرثه.

تبنّى أحيقار ابن أخته نادان الذي ساءت سيرته، فحرمه من الميراث، وتبنّى أخاه الأصغر نبوزروان.

حقد نادان على خاله، وأراد الإيقاع به، فزوَّر رسائل باسمه موجّهةً إلى فرعون مصر، وملك الفرس تدعوهما إلى التَّواطؤ معه لقلب نظام الحكم الأشوريّ. ووقعت الرسائل بيد أسرحدون، فحكم عليه بالموت، ولكنّ أحيقار نجا بفضل صديقه الجلاّد.

وطلب فرعون مصر من ملك أشور الإجابة عن بعض الأسئلة والألغاز، فكانت مناسبة لظهور أحيقار مجدَّداً، فاستعاد مركزه، وذهب إلى مصر حيث أجاب عن أسئلة الفرعون، وعاد محمّلاً بالهدايا. وكان جزاء نادان السجن والموت[1]. ولعلّ أحيقار هذا هو لقمان الحكيم العربيّ الوارد ذكره في القرآن الكريم. ووصيّته التالية إلى ابنه بالتبنّي

(١) عن معجم الحضارات السامية لهنري عبودي. ص ٥٠.

نادان قالها له قبل خيانة هذا الأخير، ولأحيقار وصيّة أخرى لنادان قالها له بعد الخيانة.

١- اسمعْ يا بني نادان، وافهمْ كلامي، واعتبرْ نصائحي كأنّها نصائح إلهيّة.

يا بنيّ نادان، انْ سمعتَ كلمة، فاتركْها تموت بقلبك، ولا تبحْ بها لإنسان لئلاً تصبح جمرةً في فمك فتكويك، وتصمّ نفسك، ويغضب الله عليك.

٢- يا بنيّ، لا تبحْ بكلّ ما يصل مسمعك، ولا تقلْ شيئاً عما تراه.

٣- يا بنيّ، لا تحلّ عقدةً رُبطت، ولا تعقدْ عقدةً حُلّتْ.

٤- يا بُنيّ، لا ترفعْ عينيك الى امرأة متبرّجة متكحّلة، ولا تشتهيها بقلبك. فإنّكَ إنْ أعطيتَها كلّ ما ملكت يداك لن تجدَ فيها خيراً، وتقترف إثماً أمام الله. يا بنيّ، لا تزنِ بامرأة صاحبِك، لئلاً يزني آخرون بامرأتك.

٥- يا بُنيّ، لا تكنْ عجولاً متسرّعاً فإنّك إذْ ذاك تشبه شجرة اللوز التي تزهر قبل كلّ الأشجار، ويؤكَل ثمرها بعد غيرها، بل كنْ سويّاً عاقلاً كشجرة التوت التي تزهر آخر الأشجار، ولكن ثمرها يسبق كلّ الأثمار.

٦- يا بني، انظر بعينيك الى أسفل، واخفضْ صوتك، وتطلّع الى تحت. فإنّه لو كان المرء يستطيع أن يبني بيتاً بالصوت العالي المرتفع، لكان الحمار يستطيع أن يبني دارين في يوم واحد. ولو أنّ القوة الشديدة وحدها هي التي تجرّ المحراث، لكان النير لا يفارق كتف الجمل.

٧- يا بُنيّ، إنّه لأفضل للمرء أن ينقل الحجارة مع رجل حكيم من

أن يشرب خمراً مع جاهل.

٨- يا بُنيّ، اسكب خمرك على قبور الصالحين، فإنّ هذا أفضل من أنْ تشربه مع الأثَمة.

٩- يا بُنيّ، إنّك لن تضلّ إذا عاشرت حكيماً، ومع الضال لن تتعلّم حكمة.

١٠- يا بُنيّ، عاشر الحكيم، فإنَّك تصبح حكيماً، ولا تعاشر طويل اللسان والمهذار، فإنّك تُعدّ واحداً معهما.

١١- يا بُنيّ، إذا كنت منتعلاً دس الشوك برجليك، ومهِّدْ سبيلاً لبنيك وبني بنيك.

١٢- يا بُنيّ، يأكلُ ابن الغني حيَّةً، فيقول الناس: للشفاء أَكَلها، ويأكلها ابن الفقير، فيقول الناس: من جوعه أَكلها.

١٣- يا بُنيّ، كلْ نصيبك، ولا تهزأْ بجارك.

١٤- يا بُنيّ، حتى الخبز لا تأكلْه مع قليل الحياء.

١٥- يا بُنيّ، لا تغتمّ لخير يناله مبغضك، ولا تفرحْ لشرّ يصيبه.

١٦- يا بُنيّ، لا تقرب امرأة وشواشة، ولا امرأة صخّابة.

١٧- يا بُنيّ، لا يغرّنّك جمال المرأة، ولا تشتهيها بقلبك، لأنّ جمال المرأة طعمها وزينتها حلاوة كلامها.

١٨- يا بُنيّ، إذا جابهك بالشرّ، جابهْه أنتَ بالحكمة.

١٩- يا بُنيّ، إنَّ الاثيم يقع فلا ينهض، أمّا المستقيم فلا يتزعزع، لأن الله معه.

٢٠- يا بُنيّ، لا تضنَّ على ابنك بالتأديب، لأنّ ضرب الولد كالزبل للحديقة، وكالرسن للحمار، أو لأيّ حيوان آخر، وكالقيد في رجل الحمار.

٢١- يا بُنيّ، اخضع ابنك وهو بعد طفل قبل أن يفوقك قوَّةً وشدّة،

فيتمرّد عليك، وتخجل من كلّ أعمال السوء التي يعملها.

٢٢- يا بني، اقتنِ ثوراً يربض، وحماراً ذا حوافر. ولا تقتنِ عبداً هارباً، ولا أَمَةً سرَّاقة كي لا يضيعا عليك ما تملكه يدك.

٢٣- يا بني، إنّ كلام الكذّاب كعصافير الدوريّ السمينة، ومن ليس فيه حكمة يأكلها.

٢٤- يا بنيّ، لا تجلبْ عليك لعنة أبيك وأمك، وإلاّ فإنَّك لن تفرح بنعمة بنيك.

٢٥- يا بنيّ، لا تسرْ في الطريق بدون سلاح، فإنَّكَ لستَ تدري متى يلقاك عدوّك.

٢٦- يا بُنيّ، كما أنَّ الشجرة تزهو بأغصانها وبثمرها، وكما يزهو الجبل بغاباته، هكذا يزهو الرجل بزوجته وأولاده. ومن ليس له زوجة ولا إخوة ولا بنون محتقر ومرذول عند أعدائه. إنّه يشبه شجرة على جانب الطريق، كلّ عابر يقتطف منها، وكلّ حيوان البرّ يأكل من ورقها.

٢٧- يا بنيّ، لا تقلْ: سيّدي جاهل مغفَّل، وأنا عاقل حكيم. بل امسكه متلبِّساً بأخطائه تنلْ رحمة ورِضًى منه.

٢٨- يا بنيّ، لا تحسب نفسك حكيماً عاقلاً إذا لم يحسبك الناس حكيماً عاقلاً.

٢٩- يا بنيّ، لا تكذب أمام سيِّدك كي لا تحتقر ويقول إليك عنّي.

٣٠- يا بنيّ، ليكن كلامك صادقاً ليقول لك سيّدك: اقتربْ منِّي فتحيا.

٣١- يا بُنيّ، في يوم مصيبتك وبؤسك لا تشتم ربك، فإنّه إذا سمعك يغضب عليك.

٣٢- يا بُنيّ، لا تعاملْ عبداً من عبيدك أحسن من معاملتك لصاحبه، فإنَّكَ لستَ تدري أيّهما ستحتاج إليه آخر الأمر.

٣٣- يا بُنيّ، ارمِ حجارة على الكلب الذي يترك صاحبه ويجري خلفك.

٣٤- يا بنيّ، إنّ القطيع الذي يسلك مسالك عديدة يصبح فريسة الذئاب.

٣٥- يا بُنيّ، اقْضِ في شبابك قضاءً عادلاً كي تنال وقاراً في شيبتك.

٣٦- يا بني، حَلِّ سِنَّك وأكسِب فمك طعماً حلواً، فإنّ ذنب الكلب يُطعمه خبزاً وفمَهُ يُكسبه رجماً.

٣٧- يا بُنيّ، لا تدعْ صاحبك يدوس على رجلك، لئلاّ يدوس رقبتك.

٣٨- يا بنيّ، اصفع العاقل بكلمة حكيمة، فإنّها تكون في قلبه كالحمّى في الصَّيْف، وإنْ صَفَعْتَ الجاهل صفعاتٍ كثيرة، فإنّه لا يفهم.

٣٩- يا بُنيّ، أرسلْ حكيماً ولا تُوصِه، وإنْ كنتَ لترسل جاهلاً، فالأفضل أنْ تذهب أنت بنفسك.

٤٠- يا بُنيّ، امتحن ابنك بالخبز والماء، عندها ضعْ بين يديه ممتلكاتك وثروتك.

٤١- يا بُنيّ، كُنْ أوَّلَ من يقوم عن الوليمة، ولا تستمرّ لتناول الدهائن اللذيذة، ولا تستمرّ في شرب اللذائذ الساخنة كي لا تصاب بجراح في رأسك.

٤٢- يا بُنيّ، من كانت يده ملآنة سمّاه الناس حكيماً ووقوراً، ومن كانت يده فارغة سمّاه الناس مذنباً وسافلاً.

٤٣- يا بُنيّ، لقد حملتُ الملح، ونقلت الرصاص، ولكنّي لم أَرَ أثقل من وفاء المرء لدَيْن مستحقّ لم يقترضه.

٤٤- يا بُنيّ، حملتُ الحديد، ونقلت صخوراً، فلم أجدها ثقيلة كثقل الرجل الذي يسكن في بيت حميه.

٤٥- يا بُنيّ، عَلِّم ابنك الجوع والعطش حتى يدبِّر بيته كما ترى عيناه.

٤٦- يا بنيّ، أعمى العينين أفضل من أعمى القلب، فإنّ أعمى العينين يتعلّم سريعاً طريقه فيسلكه، وأمّا أعمى القلب، فإنّه يترك الطريق المستقيم، ويهيم في الصحراء، فيضلّ.

٤٧- يا بُنيّ، إنّ صاحبك القريب خير من أخيك البعيد، والصِّيت الحسن خير من الجمال الوافر، لأنَّ الصيت الحسن يدوم الى الأبد، وأما الجمال فيبلى ويزول.

٤٨- يا بُنيّ، إنّ الموت لمن لا راحة له خير من الحياة، وصوت العويل والندب في أذني الجاهل خير من صوت المزمار وأهازيج الفرح.

٤٩- يا بنيّ، إنّ الكراع[١] في يدك لأفضل من الفخذ في قدر غيرك. وشاة قريبة أفضل من ثور بعيد، وعصفور واحد في يدك خير من ألف عصفور طائر، وفقر مرفوق بتوفير أفضل من غنى يبذّر، وثوب من صوف تلبسه أفضل من الحرير والخزّ على الآخرين.

٥٠- يا بُنيّ، احفظ الكلام في قلبك أفضل لك. فإنّك عندما تفضي بما في صدرك تخسر صديقك.

---

(١) الكراع: مستدقّ الساق من البقر أو الغنم.

٥١- يا بنيّ، لا تُخرجْ كلمة من فمك قبل أن تستشير عقلك، فإنّه خيرٌ للرجل أن يعثر في قلبه من أن يعثر بلسانه.

٥٢- يا بنيّ، إنْ سمعتَ كلمة سوء، فادفنها في الأرض على عمق سبعة أذرع.

٥٣- يا بُنيّ، جانبْ قوماً يتخاصمون، فإنَّ الخصام قد يؤدّي الى قتل.

٥٤- يا بُنيّ، كلّ من لا يقضي قضاء عادلاً يغضب الربّ.

٥٥- يا بنيّ، ابتعدْ عن صديق أبيك لئلاّ صديقك، يوماً ما، لا يقترب إليك.

٥٦- يا بُنيّ، لا تدخلْ الى حديقة العظماء. ولا تقتربْ من بنات العظماء.

٥٧- يا بُنيّ، أعِنْ صاحبك ضدّ السلطان لتتمكّن من أن تعينه ضدّ الأسَد.

٥٨- يا بُنيّ، لا تغتبطْ لموت عدوِّك.

٥٩- يا بُنيّ، عندما ترى رجلاً أشدّ منك بطشاً، قمْ من أمام وجهه.

٦٠- يا بُنيّ، عندما يقف الماء دون أرض تسنده، وعندما يطير الطائر بدون جناح، وعندما يبيضُّ الغراب، وعندما يحلو المرّ كالعسل، عندما تحدث هذه الأمور جميعها، يصبح الأحمق حكيماً.

٦١- يا بُنيّ، إذا صرتَ كاهناً لله، فاحترسْ. ادخلْ الى حضرته بطهارة ونقاء، ولا تنصرف من أمام وجهه.

٦٢- يا بُنيّ، احترم الرجل الذي باركه الربّ، وأَحسِنْ إليه.

٦٣- يا بُنيّ، لا تخاصمْ رجلاً في أوج عزِّه، ولا تقفْ ضدّ نهر في طغيانه.

٦٤- يا بُنيّ، إنّ عين الإنسان كنبع ماء، لا تشبع من المال حتى تمتلىء تراباً.

٦٥- يا بُنيّ، إذا أردتَ أن تكون حكيماً، فاكففْ لسانك عن الكذب ويدك عن السرقة، بذا تصبح حكيماً.

٦٦- يا بُنيّ، لا تتدخّلْ في أمر زواج امرأة، فإنّه إذا ابتأسَتْ في زواجها لعنَتْكَ، واذا نجحَتْ وسرّتْ فإنّها لا تذكرك.

٦٧- يا بُنيّ، إنّ الرجل الذي يتأنّق في حديثه، والرجل الذي لا يهتمّ بملبسه لا يهتمّ بحديثه.

٦٨- يا بُنيّ، اذا وجدتَ لُقْيَةً أمام صنم، فقدِّم للصنم نصيباً من لقيتك.

٦٩- يا بنيّ، إنّ اليد التي شبعتْ بعد جود لا تجود، وكذلك اليد التي جاعت بعد شبع.

٧٠- يا بُنيّ، لا ترتفع عيناك الى امرأة جميلة، ولا تَرْنُ الى جمال ليس لك، لأنَّ كثيرين أهلكهم جمال المرأة، وحبّها كنار متّقدة.

٧١- يا بُنيّ، إنّه خير لك أنْ يضربك العاقل ضربات عديدة من أنْ يُعطِّر جسمك الجاهل بالعطْر.

٧٢- يا بُنيّ، لا تركض رجلك وراء صاحبك، ولا تدعه يشبع منك فيبغضك.

٧٣- يا بُنيّ، لا تضعْ إسواراً ذهبيّاً في يدك، وأنتَ مُعْدَم لئلاّ يسخر منك الجهّال.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني:

أكثم بن صيفي يُوصي بنيه

قال أكثم بن صيفي[1] يُوصي بنيه[2]:

يا بَنِيّ، قد أتَتْ عَلَيَّ مائتا سَنَة، وإني مزوِّدُكم من نَفْسي عليكُمْ بِٱلبِرّ فإنَّهُ يُنْمي العَدَد، وَكُفُّوا ألسِنَتكُمْ، فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بينَ فكَّيه[3]، إن قَولَ ٱلحَقِّ لَمْ يَدَعْ لي صَديقاً، وأنَّهُ لا يَنْفَعُ مِنَ ٱلجَزَعِ التَّبَكّي، وَلا مِمَّا هُوَ واقِعٌ التَّوَقّي، وفي طَلَبِ ٱلمعالي يكونُ ٱلغَرَر[4]، الاقْتِصادُ في السَّعي أَبقىٰ لِلجَمَالِ[5]، وَمَنْ لا يأسَ علىٰ ما فاتَه ودَّعَ بَدَنَهُ، وَمَنْ قَنَعَ بما هو فيهِ قَرَّت عَيْنُه، التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّم[6]، أن أُصبِحَ عندَ رأسِ الأَمرِ أَحَبُّ إليَّ مِن أنْ أُصبِحَ عِنْدَ ذَنَبِه[7]، لم يهلك مِن مالِكَ ما وَعَظَكَ[8]، وَيْلٌ

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الأوّل من الباب الثالث.

(٢) المعمرون ص١٤؛ ومجمع الأمثال ٢/٢٦٥، وفي هذه الوصيّة عدد من الأمثال العربية.

(٣) هذا مثل عربيّ.

(٤) هذا مثل عربيّ.

(٥) هذا مثل عربيّ.

(٦) هذا مثل عربيّ.

(٧) هذا مثل عربيّ.

(٨) هذا مثل عربيّ.

لِعالمِ أمرٍ من جاهلِهِ[١]، الوَحْشَةُ ذهابُ الأعلامِ[٢]، ويَتَشابَهُ الأَمْرُ إذا أَقْبَلَ، فإذا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الأَحْمَقُ وٱلكَيِّس، البَطَرُ عند الرخاءِ حُمْقٌ، وٱلجَزَعُ عِنْدَ النَّازِلَةِ آفةُ التَّجَمُّلِ، ولا تَغْضَبوا مِنَ السَّيرِ، فإنَّه يَجني الكثيرَ، ولا تُجيبوا فيما لا تُسألون عَنْهُ، ولا تَضْحَكُوا مِمَّا لا يُضْحَكُ مِنه، تَناءَوا في الدِّيارِ، لا تباغَضُوا، فإنَّ مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَقَعْقَعْ عَمَدُهُ[٣]، ولَقَدْ رأيتُ جَبَلاً مُطِلاًّ تُزايلُه حجارَتُهُ، وَلَقَدْ رأيتُه أَمْلَسَ ما فيه صَدْعٌ.

أَلزِمُوا النِّساءَ المهانَةَ، وَلَنِعْمَ لَهْوُ الحرَّةِ ٱلمَغْزِلُ[٤]، وأحمَقُ ٱلحمْقِ الفُجورُ، وَحِيلةُ مَنْ لا حِيلةَ له الصَّبْرُ[٥]، إنْ كُنْتَ نافِعي فَوَرِّ عَنِّي عَيْنَكَ، إنْ تَعِشْ تَرَ ما لَمْ تَرَ[٦]، فَقَد أَقَرَّ صامِتٌ، المكثارُ كَحَاطب لَيْلٍ[٧]، وَمَنْ أكثَرَ أَسْقَطَ[٨]، والسَّروُ الظاهِرُ الرِّياشِ، لا تَبولوا علىٰ أكمةٍ، ولا تُفْشُوا سِرّاً إلىٰ أَمَةٍ[٩]، مَنْ لَمْ يَرْجُ إلاّ ما هُوَ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ كانَ قَمِناً أنْ يُدْرِكَ حاجَتَهُ، لا تَمْنَعَنَّكُمْ مَسَاوِىءُ رَجُلٍ مِن ذكرِ محاسِنه.

☆ ☆ ☆

---

(١) هذا مثل عربي.
(٢) أي الوحشة في ذهاب العظماء.
(٣) هذا مثل عربيّ.
(٤) هذا مثل عربيّ.
(٥) هذا مثل عربيّ.
(٦) هذا مثل عربيّ.
(٧) هذا مثل عربيّ.
(٨) هذا مثل عربيّ.
(٩) هذا مثل عربيّ.

الفصل الثالث:

لقمان الحكيم يُوصي ابنه

قال لقمان الحكيم[1] يوصي ابنه[2]:

يا بُنَيَّ، مَنْ يَصْحَبْ صاحِبَ السُّوءِ لا يَسْلَمْ، ومَنْ يَدْخُلْ مُدْخَلَ السُّوءِ يتَّهَمْ، وَمَنْ لا يَمْلِكْ لسانَه يندَمْ.

☆ ☆ ☆

وقال له[3]:

يا بُنَيَّ، ازحَمِ العلماءَ بِرُكْبَتَيْكَ، ولا تُجادِلْهُمْ فَيَمْقُتوكَ، وَخُذْ مِنَ الدُّنيا بلاغَكَ، وابقِ فُضولَ كَسْبِكَ لآخِرَتِكَ، ولا تَرفُضِ الدُّنيا كُلَّ الرَّفْضِ فتكونَ عِيالًا[4]، وعلى أعناقِ الرِّجال كَلًّا[5]، وَصُمْ صَوْماً يَكسِرُ شهوتَكَ، ولا تَصُمْ صَوْماً يَضُرُّ بِصَلاتِكَ، فإنَّ الصَّلاة أفضَلُ مِنَ الصَّوْم.

---

(١) هو حكيم معمّر جاهليّ، وفي القرآن الكريم سورة باسمه تعرض نماذج من حكمته التي تنصبّ خاصّةً على وصيّته لابنه «ألاّ يُشرك بالله، وأن يبرّ والديه، ويطيعهما ما لم يأمراه بمعصية، وأن يقيم الصلاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يلتزم الصبر والتواضع». وفي الأمثال والحكم عبارات شتّى تُعزى إليه بحيث أصبح مورد كثير من الحكم العربيّة.

(٢) لباب الآداب ص ٢٧٢.

(٣) البيان والتبيين ٢/ ١٥٣.

(٤) العيال: الذي يعيله غيره من فضله.

(٥) الكل: من الرجال من يتكل على غيره ولا يعمل.

وكُنْ كالأبِ لليَتيم، وكالزّوجِ للأرْمَلَةِ، ولا تُحابِ ٱلقَريبَ، ولا تُجالِسِ السَّفِيهَ، ولا تُخالط ذا ٱلوَجْهَيْنِ ألبَتَّةَ.

☆ ☆ ☆

وقال له[1]:

لا تَرْكَنْ إلىٰ الدُّنيا، ولا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بها، فإنَّكَ لم تُخْلَقْ لها، وما خَلَقَ اللهُ خَلْقاً أهونَ عَلَيْهِ مِنها، فإنَّه لَمْ يجعَلْ نعيمَها ثواباً للمطيعينَ، ولا بَلاءَها عُقوبَةً للعاصِينَ.

يا بُنَيَّ، لا تُضَيِّعْ مالَكَ، وَتُصلِحْ مالَ غَيْرِك، فَإنَّ مالَكَ ما قَدَّمْتَ، ومالَ غَيْرِكَ ما تَرَكْتَ.

يا بُنَيَّ، إنَّه مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ، وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ، وَمَنْ يَقُل ٱلخَيْرَ يَغْنَمْ، وَمَنْ يَقُلِ الباطِلَ يأثَمْ، وَمَنْ يَمْلِكْ لِسانَهُ يَنْدَمْ.

يا بُنَيَّ، زاحِم ٱلعُلماءَ بركبتيْكَ، وأنصِتْ إليهِمْ بأُذُنَيْكَ، فإنَّ القَلْب يَحْيا بِنورِ ٱلعُلماءِ كما تحيا الأرضُ ٱلميتةُ بِمَطَرِ السَّماءِ.

☆ ☆ ☆

وقال له[2]:

يا بُنَيَّ، إنَّ النّاسَ قد تَطاوَلَ عَلَيهِمْ ما يوعَدونَ، وَهُمْ إلىٰ الآخِرَةِ سِراعاً يَذْهَبونَ، وإنَّكَ قَدِ ٱسْتَدْبَرْتَ الدُّنيا مُنْذُ كُنْتَ، وٱستَقْبَلْتَ الآخِرَةَ، وإنَّ داراً تسيرُ إليها أقربُ من دارٍ تَخْرُجُ مِنْها.

يا بُنَيَّ، ليسَ غِنًى كَصِحَّةٍ، ولا نَعيمٌ كطيبِ نَفْسٍ، يا بُنَيَّ، لا تُجالِسِ الفُجّارَ. ولا تُماشِهِمْ، اِتَّقِ أنْ ينزلَ عَلَيهِمْ عذابٌ مِنَ السَّماءِ فَيُصيبَكَ مَعَهُمْ، وجالِسِ ٱلعُلَماءَ، وزاحِمْهُمْ بركبتيكَ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ

---

(١) العقد الفريد ١/١٥٢ - ١٥٣.

(٢) شرح مقامات الحريري ٥/١٣٢.

يحيي القُلوبَ ٱلميتَةَ بِٱلعِلمِ، كما يُحْيِي الأَرْضَ بوابلِ ٱلمَطَرِ.

☆ ☆ ☆

وقال له[1]:

إياكَ وصاحِبَ السُّوءِ، فإنَّه كالسَّيفِ ٱلمسلولِ، يُعْجِبُ مَنْظَرُهُ، ويَقْبُحُ أَثَرُهُ، ولا يَهونَنَّ عَلَيْكَ مَنْ قَبُحَ مَنْظَرُهُ، وَرَثَّ لِباسُهُ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ إنَّما ينظُرُ إلىٰ القُلوبِ، وَيُجازي بالأعمالِ.

☆ ☆ ☆

وقال لابنه أو لمولاه[2]:

إنَّ طولَ ٱلجُلوسِ علىٰ ٱلخَلاءِ يَرْفَعُ ٱلحَرَارَةَ إلىٰ الرأسِ، وَيُورثُ ٱلباسورَ، ويتجَمعُ له الكَبِدُ، فٱجلِسْ هُوَينَىٰ، وَقُمْ هُوَيْنَىٰ.

☆ ☆ ☆

وقال لابنه[3]:

يا بُنَيَّ، إذا قَعَدْتَ إلىٰ ذي سُلطانٍ، فليكن بَيْنَكَ وَبَيْنَه مَقْعَد رَجُلٍ، فَلَعَلَّه أنْ يأتِيَهُ مَن هُوَ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ، فَيُريدُ أنْ تنَحَّىٰ لَهُ عَنْ مَجْلِسِكَ، فيكونَ ذلكَ نَقصاً عليك وشيناً.

☆ ☆ ☆

---

(١) لباب الآداب ص٢٠.
(٢) شرح مقامات الحريري ٥/ ١٣٢.
(٣) لباب الآداب ص ١٦.

الفصل الرابع:

قسّ بن ساعدة يُوصي ابنه

قال قسّ بن ساعدة[1] يُوصي ابنه[2]:

لا تُشاوِرْ مَشْغولاً، وإنْ كانَ حازِماً، ولا جائِعاً وإنْ كانَ فَهِماً، ولا مَذْعوراً وإنْ كانَ ناصِحاً، ولا مَهْموماً وإنْ كانَ عاقِلاً، فٱلْهَمّ يَعقِلُ ٱلعَقْلَ، فلا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ رأي، ولا تَصْدُقُ بهِ رَوِيَّةٌ.

☆ ☆ ☆

(١) هو قسّ بن ساعدة بن عمرو من بني إياد (٠٠٠- نحو ٢٣ق.هـ/ نحو ٦٠٠م) أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهليّة. كان أسقف نجران. كان يفِد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه (الزركلي: الأعلام ٥/١٩٦).

(٢) نهاية الأرب ٦/٧٦.

الفصل الخامس:

أوس بن حارثة يُوصي ابنه مالك

قال أوس بن حارثة(١) يوصي ابنه مالكًا(٢):

يا مالكُ، المنيّةَ ولا الدَّنيَّة(٣)، والْعِتَابُ قَبْلَ الْعِقابِ، والتَّجلُّدَ قَبْلَ التَّبَلُّدِ(٤)، واعْلَمْ أنَّ الْقَبرَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ، وشَرُّ شاربٍ الْمُشْتَفُّ(٥)، وأقبَحُ طاعِمٍ الْمُقْتَفُّ(٦)، وذَهابُ الْبَصَر خَيْرٌ مِن كثيرٍ مِنَ النَّظَرِ، وَمِن كَرَمِ الكريم الدِّفاعُ عَنِ الحَريم، وَمَنْ قَلَّ ذَلَّ(٧)، وَمَنْ أُمِرَ فَلَّ(٨)، وخَيْرُ الْغِنَىٰ الْقَنَاعَةُ(٩)، وَشَرُّ الْفَقْرِ الضَّراعَةُ(١٠)، والدَّهْرُ يَومانِ، فَيَـومٌ

---

(١) هو أوس بن حارثة بن ثعلبة، من بني مزيقياء من الأزد من كهلان. جد قبيلة الأوس (إحدى قبيلتي الأنصار: الأوس والخزرج). تحوّل بنوه من اليمن إلى يثرب (المدينة)، وجاء الإسلام وهم فيها. وتفرّعت عنهم بطون متعدّدة. (الزركلي: الأعلام ٢/ ٣١).

(٢) أمالي القالي ١/ ١٠٢؛ وجمهرة خطب العرب ١/ ١٢٠.

(٣) هذا مثل عربيّ.

(٤) هذا مثل عربيّ.

(٥) هذا مثل عربي.

(٦) هذا مثل عربي.

(٧) هذا مثل عربي.

(٨) هذا مثل عربي.

(٩) هذا مثل عربي.

(١٠) هذا مثل عربي.

لَكَ، ويومٌ عَلَيْكَ[1]، فإذا كانَ لكَ فَلا تَبْطَرْ، وإذا كانَ عَلَيْكَ فٱصبِرْ، فَكِلاهُما سَيَنْحَسِرُ. فَإِنَّما تعزُّ مَنْ تَرىٰ، وَيَعِزُّكَ مَنْ لا تَرىٰ[2]، ولو كانَ ٱلموتُ يُشْتَرىٰ؛ لَسَلِمَ مِنه أهلُ الدُّنيا، ولكنَّ النّاسَ فيه مُسْتَوونَ، الشَّريفُ الأبلَجُ، واللئيمُ ٱلمُعَلْهَجُ[3]، وٱلموتُ ٱلمفيتُ خَيْرٌ مِن أنْ يُقالَ لكَ هَبيت[4]، وَكَيْفَ بٱلسَّلامَةِ لِمَنْ لَيْسَتْ لهُ إقامَةٌ، وشَرٌّ مِنَ ٱلمُصِيبَةِ سوءُ ٱلخَلْفِ[5]، وكُلُّ مجموعٍ إلىٰ تَلَفٍ، حَيَّاكَ الله.

☆ ☆ ☆

---

(١) هذا مثل عربي.

(٢) هذا مثل عربي.

(٣) أي الدنيء اللّئيم.

(٤) الهبيت: الأحمق الضعيف.

(٥) هذا مثل عربي.

الفصل السادس:

زرارة بن عدس يُوصي بنيه وبني بنيه

قال زرارة بن عُدْس[١] يُوصي بنيه وبني بنيه[٢]:

يا بَنيَّ، إنكُمْ قد أصْبَحْتُم بَيْتَ تَميم، بل بَيتَ مُضَر، يا بَنيَّ، ما هَجَمْتُ علىٰ قَوم قطّ مِنَ ٱلعَرَبِ لا يَعرِفونَني إلاّ أَحَلّوني، فإذا نَسَبوني ٱزْدَدْتُ عِنْدَهُمْ شَرَفاً، وفي أَعْيُنِهمْ عِظَماً، ولا وَفَدْتُ إلىٰ مَلِكٍ إلاّ آثَرَني وشَفَّعني، خُذوا مِن أدبي، وٱثبُتوا عِنْدَ أَمري، وٱحفَظوا وَصِيَّتي.

إياكُمْ أنْ تُدخِلوا عَلَيَّ في قَبْري حَوْبَةً[٣] أُسَبُّ بها، فواللهِ ما شايَعَتْني نَفسي قَطّ علىٰ إتيانِ ريبَةٍ، ولا عَمَلٍ بِفاحِشَةٍ، ولا ضَمَّني وعاهِرَةً سَقْفُ بَيْتٍ قَطّ، ولا حَسَّنَت لي نَفْسي ٱلغَدْرَ مُنْذُ شَدَّتْ يَدايَ مِئزَري، ولا فارَقَنِي جارٌ علىٰ قِلىً[٤]، ولا حَمَلَني هَوايَ علىٰ أمرٍ يَعِيبُني في مُضَرَ.

يا بَنِيَّ، إنَّ ٱلقَالَةَ إليكُمْ سريعةٌ، فٱتَّقوا اللهَ في الليلِ إذا أَظْلَمَ، وفي

---

(١) هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله، جدّ جاهليّ، بنوه بطن من بني دارم، من تميم، من عدنان. كان حكماً من قضاة تميم، وقاد تميماً وغيرها يوم شويحط (الزركلي: الأعلام ٣/ ٤٣).

(٢) المعمرون ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) الحوبة: الإثم والمنقصة.

(٤) القِلى: البغض. والقالة: الكلام السَّيِّىء.

النَّهارِ إذا ٱنتَشَرَ، يكفِكُمْ ما أَهَمَّكُمْ، وإيّاكُمْ وَشُرْبَ ٱلخَمْرِ، فإنَّها مَفْسَدَةٌ للعُقولِ والأَجْسَادِ، ذَهّابَةٌ بالطَّريفِ والتِّلادِ.

يا بَنِيَّ، زَوِّجوا النِّساءَ الأكفاءَ، وإلاّ فٱنْتَظِروا بِهِنَّ القَضَاءَ.

يا بَنِيَّ، قد أدركتُ سُفْيانَ بنَ مجاشع بن دارم شيخاً كبيراً مَحْجوباً، فأخبَرني أنَّه قَدْ حانَ خُروج نَبِيٍّ بِمَكَّةَ مِن مُضَرَ يقالُ له: أحمد - عليه السلام - يدعو إلىٰ عِبادَةِ اللهِ، فإنْ أدركتُموه فاتَّبِعوهُ، تَزْدادوا بذلِكَ شَرَفاً إلىٰ شَرَفِكُمْ وَعِزّاً إلىٰ عِزِّكم.

إنَّه ليس فيكُمْ سَقَطُ رَجُل واحدٍ، ولا تَمَنَّيْتُكُمْ أنّي بُدِّلْتُكُمْ مِنَ العَرَبِ، ولولا عَجَلَةُ لقيط[1] إلىٰ ٱلحَرْب، وٱلحربُ لا يُصلِحُها إلاّ الرَّجُلُ المكيث لَشَرَّفتهُ عَلَيْكُمْ، وهو بَعْدُ فارسُ مُضَرَ، وعليكُمْ بحاجب فإنَّه حَليمٌ عِندَ ٱلغَضَبِ، فَرّاجٌ للكُرَبِ، يَجودُ إذا طُلِبَ إليهِ، ذو رأيٍ لا يُنْكَشُ[2]، وزَمَّاعٌ لا يفحشُ[3]، فٱسمَعوا لَهُ وأطيعوا أمرَهُ. جنَّبَكُمُ اللهُ الردىٰ.

☆ ☆ ☆

---

(١) لقيط وحاجب هما ابنا الموصي.

(٢) لا ينكش: لا يستقصىٰ ما فيه، يقال: نكشت البئر إذا أخرجت ما فيها. قاله أبو حاتم السجستاني.

(٣) الزماع: العزم. ولا يفحش: لا ينتقص.

الفصل السابع:

الإمام عليّ بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن

قال الإمام عليّ بن أبي طالب[1]، رضي الله عنه، يوصي ابنه الحسن[2]:

يا بُنَيَّ، أوصيكَ بتقوىٰ اللهِ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةِ الحقِّ في الرِّضا والغَضَب، والقَصْدِ في ٱلغِنَىٰ وٱلفَقْرِ، وٱلعدلِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، والرِّضا عَنِ اللهِ عزّ وجَلَّ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

يا بُنَيَّ، ما شَرٌّ بعدَهُ ٱلجَنَّةُ بِشَرٍّ، ولا خَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ، وكُلُّ نعيمٍ دونَ ٱلجَنَّةِ مَحقورٌ، وكُلُّ بَلاءٍ دونَ النّارِ عافِيَةٌ.

اعلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّهُ مَنْ عَيَبَ نَفْسَهُ شُغِلَ عَن عَيْبِ غَيْرِهِ، ومَنْ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ علىٰ ما فاتَهُ، ومَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْي قُتِلَ به، ومَنْ حَفَرَ لأخيهِ بئراً وَقَعَ فيها، ومَنْ هَتَكَ حِجابَ أخيهِ ٱنكشفت عَوْراتُ بَنِيه، وَمَنْ نَسِيَ خَطيئَتَه ٱستَعْظَمَ خطيئَةَ غَيْرِهِ، ومَنْ كابَدَ الأُمورَ عُطِبَ،

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من كتابنا هذا.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب (٣هـ/ ٦٢٤م - ٥٠هـ/ ٦٧٠م) خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، أمّه فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ). بايعه أهل العراق، وأشاروا إليه بالزحف على معاوية، لكنه آثر الصلح معه حقناً لدماء المسلمين. توفي في المدينة (الزركلي: الأعلام ٢/ ١٩٩ - ٢٠٠).

ومَنِ ٱقْتَحَمَ البحرَ غَرِقَ، ومَنْ أُعْجِبَ برأيِهِ ضَلَّ، ومَنِ ٱسْتَغْنَىٰ بعَقْلِه زَلَّ، ومَنْ تكَبَّرَ علىٰ الناسِ ذَلَّ، ومَن سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ، ومَنْ سَلَكَ مسالِكَ الشَّرِّ ٱتُّهِمَ، ومَنْ خالَطَ الأنذالَ حُقِرَ، ومَنْ جالَسَ العُلماءَ وُقِرَ، ومَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ به، ومَنْ أكثَرَ من شَيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ خَطؤهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤهُ قلَّ حَياؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلْبُهُ، ومَنْ ماتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النارَ.

يا بُنَيَّ، مَنْ نَظَرَ في عُيوبِ الناسِ وَرَضِيَها لِنَفْسه فذلك الأَحْمَقُ بعَيْنِهِ، ومَنْ تَفَطَّنَ ٱعْتَبَرَ، ومَنِ ٱعْتَبَرَ ٱعْتَزَلَ، ومَنِ ٱعتَزَلَ سَلِمَ، ومَن تَرَكَ الحَسَدَ كانَ له المحبَّةُ من الناس.

يا بُنيَّ، عِزُّ المؤمِنِ غِناؤُه عنِ الناسِ، وٱلقَناعَةُ مالٌ لا ينفَذُ، ومَن أكثَرَ من ذكرِ الموتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنيا باليسير، وَمَنْ عَلِمَ أنَّ كلامَهُ من عَمَلِهِ قلَّ كلامُه إلاّ فيما ينفَعهُ، والعَجَبُ مِمَّنْ خافَ ٱلعِقابَ فلم يكفَّ، ورَجا الثَّوابَ فلم يعْمَلْ، والذِّكرُ نورٌ، والغَفْلَةُ ظُلْمةٌ، والجهالَةُ ضلالةٌ، والسَّعيد مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، والأَدَبُ خيرُ ميراث، وحُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرين.

يا بُنَيَّ، ليسَ معَ قطيعَةِ الرَّحِمِ نَماءٌ، ولا مَعَ الفُجورِ غَناءٌ.

يا بُنَيَّ، العافِيَةُ عَشْرَةُ أجزاءٍ، تِسْعَةٌ منها في الصَّمْتِ إلاّ بذكرِ اللهِ تعالىٰ، وواحدٌ في تَرْكِ مُجالَسَةِ السُّفَهاءِ، ومَنْ تَزَيَّنَ بمعاصي اللهِ في المجالسِ أورثَهُ اللهُ ذُلاً، مَنْ طَلَبَ العِلْمَ عَلِمَ.

يا بُنَيَّ، رأسُ ٱلعِلمِ الرِّفقُ، وآفَتُه الخُرْقُ، ومن كُنوزِ الإيمانِ الصَّبْرُ علىٰ المصائبِ، العفافُ زينةُ الفقرُ، والشُّكْرُ زينةُ الغِنىٰ.

يا بُنَيَّ، كثرةُ الزِّيارةِ تورثُ الملالةَ، الطُّمأنينَةُ قبلَ ٱلخِبْرَةِ ضِدُّ الحزمِ، إعجابُ المرءِ بنَفْسِه دَليلٌ علىٰ ضَعْفِ عَقْلِه.

يا بُنَيَّ، كم من نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسْرَةً، وكم من كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعمَةً، لا

شَرَفَ أعلىٰ من شَرَفِ الإسلامِ، ولا كَرَمَ أعزُّ منَ التَّقوىٰ، ولا مَعْقِلَ أعَزُّ مِنَ الوَرَعِ، ولا شَفيعَ أنْجَحُ منَ التَّوبةِ، ولا لباسَ أجمَلُ مِنَ العافِيَةِ، ولا مالَ أذهبُ للفاقَةِ مِنَ الرِّضىٰ، ومَنِ ٱقتَصَدَ علىٰ بُلْغَةِ الكَفافِ فقد تَعَجَّلَ الراحَةَ، وتبوّأَ أحسنَ الدَّعَةِ، والحسنُ مِفتاحُ التَّعَبِ ومَطِيَّةُ النَّصَبِ، وداعٍ إلىٰ التَّقَحُّمِ في الذُّنوبِ، والشَّرَهُ داعٍ إلى مَساوىء العُيوبِ، وكَفاكَ أدباً لِنَفْسِكَ ما كَرِهتَهُ لِغَيْرِكَ، لأخيكَ المؤمنِ عليك مِثْلُ الذي لك عليه، ومَنْ تَعَرَّضَ في أمورٍ من غير نَظَرٍ في العَواقِب فقد تَعَرَّضَ لفادحاتِ النَّوائبِ، التَّدبيرُ قبلَ العَمَلِ يؤمِّنُكَ النَّدَمَ، مَنِ ٱستَقْبَلَ وُجوهَ الآراء عَرَفَ مَواقِعَ الخطأ، الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الفاقَةِ، البخلُ جُلْبابُ المسكَنَةِ، الحرصُ علامَةُ الفَقْرِ، وصُولٌ مُعْدَمٌ خيرٌ من جافٍّ مُكْثِرٍ، ولِكُلِّ شيءٍ قوتٌ، وٱبنُ آدمَ قوتُ الموتِ.

يا بُنَيَّ، لا تُؤيِسْ مُذْنِباً، فكمْ من عاكفٍ علىٰ ذَنْبه خُتِمَ له بالخَيْرِ، وكمْ من مُقْبِلٍ علىٰ عَمَله مُفْسِدٌ لهُ في آخِرِ عُمُرِهِ، ومَنْ تَحَرَّىٰ القَصْدَ خَفَّت عليه الأمورُ، في خلافِ النَّفْسِ رُشْدُها، السَّاعاتُ تُنْقِصُ الأعمارَ، ربُّكَ للباغِينَ من أَحْكَمِ الحاكِمينَ، وعالِمٌ بِضمائر المضمرين، بئسَ الزَّادُ إلىٰ المعادِ، العدوانُ علىٰ العبادِ، في كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ[1]، ومَعَ كُلِّ لُقْمَةٍ غَصَصٌ، لا تُنالُ نِعمةٌ إلاّ بفِراقِ أخرىٰ، ما أقرَبَ الراحَةَ من التَّعَبِ، والبؤسَ منَ النَّعيمِ، والموتَ من الحياة، فطوبىٰ[2] لِمَنْ أَخْلَصَ لله عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، وحُبَّهُ وبُغْضَه، وكلامَهُ وصَمْتَهُ، وبَخٍ لعالمٍ عَلِمَ فَكَفَّ، وعَمِلَ فَجَدَّ، وخافَ ٱلبَيانَ فأَعَدَّ وٱستَعدَّ، إنْ سُئِلَ أَفْصَحَ، وإنْ تُرِكَ صَمَتَ، كلامُه صَوابٌ، وسكوتُه غيرُ عَيٍّ عَنِ الجوابِ، والوَيْلُ كُلّ

---

(١) الشرق: الغصة من الماء وغيره .

(٢) طوبى: هنيئاً.

الوَيْلِ لِمَنْ بُلِيَ بحِرمانٍ، وخُذلانٍ وعِصيانٍ، وٱستَحْسَنَ لِنَفْسه ما يكرَهُهُ الناسُ له، ويَزري علىٰ الناسِ بمثلِ ما يأتي، مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ محبَّتُهُ، مَنْ لمْ يكُنْ لهُ سخاءٌ ولا حَياءٌ؛ فالموتُ أولىٰ به من الحياة، لا تَتِمُّ مروءةُ الرَّجُلِ حتىٰ لا يُبالي أَيَّ ثوبيهِ لَبِسَ، ولا أيَّ طعامه أَكَلَ[1].

☆ ☆ ☆

(١) أسرار البلاغة للعاملي ص ٣٤٢ على هامش كتاب المخلاة للمؤلف نفسه.

الفصل الثامن:

الأشعث بن قيس الكنديّ يُوصي بنيه

قال الأشعث بن قيس الكنديّ[1] يُوصي بنيه[2]:

يا بَنيَّ، لا تَذِلّوا في أعراضِكُمْ وٱنخَدِعوا في أموالِكُمْ، ولْتَخِفَّ بُطونكُمْ من أموالِ الناسِ، وظهورُكُمْ من دمائِهم، فإنَّ لكلّ ٱمرىءٍ تَبِعَةً، وإيّاكُمْ وما يعتَذَرُ منه أو يُستَحْيَ، فإنَّما يُعْتَذَرُ من ذَنْبٍ، ويُسْتَحْيَ من عَيْبٍ، وأصلحوا المالَ لِجَفْوَة السُّلطانِ، وتَغَيُّرِ الزَّمانِ، وكُفُّوا عند الحاجَة عن المسألَةِ، فإنَّه كَفَىٰ بالردِّ مَنْعاً، وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ حتىٰ يوافِقَ الرِّزقُ قَدَراً.

وٱمنعوا النِّساء من غيرِ الأكفاءِ، فإنّكُمْ أهلُ بيتٍ يتأسَّىٰ بكم الكَريمُ، ويَتَشَرَّفُ بكُم اللئيمُ، وكونوا في عوامّ الناسِ ما لَمْ يضْطَرِبِ الحبلُ، فإذا ٱضْطَرَبَ الحبلُ فٱلحَقوا بعشائِرِكُمْ.

☆ ☆ ☆

---

(١) هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي (٢٣ق.هـ/ ٦٠٠م - ٤٠هـ/ ٦٦١م) أمير كندة في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي وأسلم، وشهد اليرموك، والكثير من المواقع. وكان مع علي في صفين، وأخباره كثيرة في الفتوح الإسلامية (الزركلي: الأعلام ١/ ٣٣٢).

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٥٤.

الفصل التاسع:

جعفر بن محمد الصادق يوصي ابنه موسى

قال جعفر بن موسى الصادق(١) يُوصي ابنه موسى(٢)، قائلاً(٣):

يا بُنَيَّ، مَنْ رَضِيَ بما قُسِمَ لهُ ٱسْتَغْنَىٰ، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إلىٰ ما في يَدِ غَيْرِهِ ماتَ فَقيراً، ومَنْ لم يَرْضَ بما قَسَمَهُ الله لهُ ٱتَّهَمَ اللهَ في قَضائهِ، وَمَنِ ٱسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ ٱسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنِ ٱسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غيرِهِ ٱسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.

يا بُنيَّ، مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِه ٱنْكَشَفَتْ عَوراتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلبَغْيِ قُتِلَ بهِ، وَمَنِ ٱحتَفَرَ لأَخيهِ بئراً سقَطَ فيها، وَمَنْ داخَلَ السُّفهاءَ حُقِرَ، وَمَن خالَطَ ٱلعُلماءَ وُقِرَ، وَمَنْ دَخَلَ مداخِلَ السُّوءِ ٱتُّهِمَ.

يا بُنيَّ، إياكَ أَنْ تَزْري بٱلرِّجالِ فَيُزرىٰ بِكَ، وإيّاكَ والدُّخولَ فيما لا

---

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (٨٠هـ/ ٦٩٩م ـ ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) كانت له منزلة رفيعة في العلم. أخذت عنه جماعة منها الإمامان أبو حنيفة ومالك. لقِّب بالصادق لأنّه لم يعرف عنه الكذب مطلقاً. له أخبار مع الخلفاء العبّاسيِّين، وكان جريئًا عليهم صداعًا بالحق (الزركلي: الأعلام ٢/ ١٢٦).

(٢) هو موسى بن محمد الصادق (١٢٨هـ/ ٧٤٥م ـ ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) كان من سادات بني هاشم. ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد. (الزركلي: الأعلام ٧/ ٣٢١).

(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

يَعْنيك فتَذُلَّ لِذَلِكَ.

يا بُنَيَّ، كُنْ لكِتابِ اللهِ تالِياً، وللإسلامِ فاشِياً، وبٱلمعروفِ آمِراً، وعَن المنكَرِ ناهِياً، وَلِمَنْ قَطَعَكَ واصِلاً، ولِمَنْ سكتَ عَنْكَ مُبْتَدِئاً، وَلِمَنْ سألَكَ مُعْطِياً، وإياكَ وٱلنَّمِيمَةَ فانَّها تَزرَعُ ٱلشحناءَ في قُلوبِ الرِّجالِ، وإيَّاكَ والتَّعَرُّضِ لِعُيوبِ النّاسِ، فَمَنْزِلةُ التَّعَرُّضِ لِعُيوبِ النَّاسِ بِمِنزِلَةِ ٱلهَدَفِ.

يا بُنَيَّ، إذا طَلَبْتَ ٱلجودَ فَعَلَيْكَ بِمَعادِنِهِ، فإنَّ للجودِ مَعادِنَ، وللمعادِنِ أُصولاً وللأصول فُروعاً، وللفُروعِ ثَمَراً، ولا أَصْلَ ثابِتٌ إلاّ بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يا بُنيَّ، إذا زُرْتَ فَزُرِ الأَخيارَ، ولا تَزُرِ الفُجّارَ، فانَّهُمْ صَخْرَةٌ لا يَنْفَجِرُ ماؤها، وَشَجَرةٌ لا يَخْضَرُّ وَرَقُهَا، وأرضٌ لا يَظْهَرُ عُشبُها.

☆ ☆ ☆

الفصل العاشر:

العتبيّ يوصي ابنه عبد الرحمن

قال العتبيّ[1] يوصي ابنه عبد الرحمن[2]:

يا بُنَيَّ، إني أَتْرُكُكَ مَعَ مَنْ لا يَتْرُكُكَ، فَاكحِلْ عُيونَهُمْ بِحُسْنٍ مِنْكَ تَقْطَعْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنْكَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ تكُنْ لَكَ، وَخُذْ مِن كُلِّ زَمانٍ محاسِنَ ما فيهِ، وأَنْتَ قَليلٌ فاتَّقِ الله تَكُنْ بهِ كَثيراً، وٱعْلَمْ بأنَّكَ تَخْرُجُ بِمَوتي عَنْ سَعَةِ عُذْرٍ إلىٰ ضيقِ مُداراةٍ، فَضَعِ الأُمورَ مواضِعَها تَضَعْكَ مَوْضِعَكَ، وٱجعَلْ دُنياكَ صِلَةً لآخِرَتِكَ، ولا تَرْضَ لَها بِها عِوَضاً مِنَ الآخِرَةِ، فإِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَها عِقاباً لِمَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ، وَلاَ ثَواباً لِمَنْ رَضِيَ عَنْه، وٱنظُرْ بَنَاتي، فَوَصيَّتي فِيهِنَّ بما أوصىٰ سعيد بن العاص في بناته.

☆ ☆ ☆

---

(١) هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن (٠٠٠ ـ ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) أديب، كثير الأخبار، حسن الشعر، ولد وتوفي بالبصرة. له تصانيف، منها «الأخلاق»، و«أشعار الأعاريب» (الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) عن جمهرة وصايا العرب ٣/ ١٩١.

الفصل الحادي عشر:

عبد الرحمن الأوسط بن الحكَم يوصي ولده المنذر بن عبد الرحمن

قال عبد الرحمن الأوسط[(١)] يوصي ولده المنذر بن عبد الرحمن[(٢)]:

إنَّ فِيكَ لَتَيْهاً مُفْرِطاً، فقال له: حُقَّ لَفْرعٍ أنتَ أَصْلُهُ أنْ يَعْلوَ، فقالَ له: يا بُنيَّ، إنَّ العُيونَ تَمُجُّ التَّـيَّاهَ، والْقُلوبَ تَنْفِرُ عَنْهُ. فقال: يا أبي، لي مِنْ العزِّ والنَّسَبِ وَعُلُوِّ المكانِ ما يجمُلُ عَنْ ذلك، وإني لَمْ أَرَ الْعُيونَ إلاَّ مُقْبِلَةً عَلَيَّ، وَلاَ الأَسْماعَ إلاَّ مُصْغِيَةً إلَيَّ، وأَنَّ لهذا السُّلطانِ رَوْنَقاً يريقه التَّبَذُّلُ، وَعُلُوّاً يخفضه الانبِساطُ، ولا يصونُه ويُشَرِّفُه إلاَّ التِّيْهُ، والانقِباضُ، وأَنَّ هؤلاءِ الأنذالَ لَهُمْ مِيزَانٌ يَسْبِرونَ بِهِ الرَّجُلَ مِنَّا، فإنْ رَأَوْهُ راجِحاً عَرَفُوا لَهُ قَدْرَ رَجَاحَتِهِ، وإنْ رأوهُ ناقِصاً عامَلوهُ بِنَقْصِهِ، وصَيَّروا تَواضُعَهُ صِغَراً، وتَخَفُّضَهُ خِسَّةً. فقال له أبوه: للهِ أنت، فأبقَ وَمَا رأَيْتَ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأمويّ (١٧٦هـ/ ٧٩٢م ـ ٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م) رابع ملوك بني أميّة في الأندلس، شهدت على أيامه مملكته نهضة عمرانيّة كبيرة. كان أديبًا ينظم الشعر، ومطلعاً على علوم الشريعة وبعض فنون الفلسفة (الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٠٥).

(٢) نفح الطيب ٢/ ٣٢٩.

وقال له أيضاً يوصيه[1]:

كان المنذر بن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيّىء الخلق في أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مفرط القلق مما يقال في جانبه، معاقباً على ذلك من يقدر علىٰ معاقبته، مكثر التشكّي ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبدالرحمن، فطال ذلك علىٰ الأمير، فقال لوكيلٍ خاص به، عارف بالقيام بما يكلفه به: الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناءً أُسْكِنُ فيه ابني المنذر، وأوصاه بالاجتهاد فيه، ففرغ منه، وعاد إليه، فقال له: تُعْلِم المنذر أنّي أمرته بالانفراد فيه، ولا تترك أحداً من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره، ولا يتكلّم معه ألبتة، فإذا ضجر من ذلك، وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك، فتولىٰ الثقةُ ذلك على ما أمر به، ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده، وفَقَد خوله، ومن كان يستريح معه، ونظر إلى ما سُلِبَه من الملك ضجر، فقال للثقةِ: عسىٰ أن يصلني غلماني وأصحابي أتأنّسُ بهم، فقال له الثقة: إنّ الأمير أَمَرَ أن لا يَصلكَ أحد، وأن تبقىٰ وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك مِن الوشاية، فعلم أنّ الأمير قصد محنته بذلك وتأديبه، فاستدعىٰ دواة وكتب إلىٰ أبيه: إنّي قد توحّشت في هذا الموضع توحُّشاً ما عليه من مزيد، وعُدمت فيه مَن كنت آنس إليه، وأصبحتُ مسلوبَ العزّ فقيد الأمر والنهي، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبتُه وعلمه مولاي ولم أعلمه، فإنّي صابر علىٰ تأديبه، ضارع إليه في عَفْوِهِ وصفحه:

وإنّ أميــرَ المــؤمنيــنَ وفِعْلَــهُ   لكالدَّهْر، لا عارٌ بِما فَعَلَ الدَّهْرُ

---

(١) نفح الطيب ٥/ ١١٤ ـ ١١٥.

فلمّا وقف الأمير على رقعته، وعلم أنّ الأدب بلغ به حقّه، استدعاهُ فقال له: وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحّش الانفراد في ذلك الوضع، وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك، وإن كان لك ذنب يترتّبُ عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان، وما فعلتُ ذلك عقاباً لك، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام مَن يرفَع لك وَيَنُمّ، حتىٰ تستريح منهم. فقال له: سماعُ ما كنت أضجر منه أَخَفّ عَلَيَّ من التوحيد والتوحّش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي، فقال له:

فإذْ قَدْ عَرَفْتَ وتأَدَّبْتَ، فارْجعْ إِلىٰ ما ٱعْتَدْتَهُ، وعَوِّلْ علىٰ أَنْ تَسْمَعَ كأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ، وَتَرَىٰ كأَنَّكَ لَمْ تَرَ، وَقَدْ قالَ النبيُّ ﷺ: «لو تكاشَفْتُمْ ما تَدَافَنْتُمْ». واعْلَمْ أَنَّكَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِليَّ فِيَّ، وَبَعْدَ هذا فَما يَخْلُو صَدْرُكَ في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ عَنْ إنكارٍ عَلَيَّ، وسُخْطٍ لما أَفْعَلُه في جانِبكَ أو جانِبِ غَيْرِكَ، مِمّا لو أَطْلَعَني الله تعالىٰ عليه لَسَاءَني، لكن ٱلحَمْدُ للهِ الذي حَفِظَ ما بينَ القُلوبِ بِسَتْرِ بَعْضِهَا عَن بَعْض فيما يحولُ فيها، وإِنَّكَ لذو هِمَّةٍ وَمَطْمَحٍ، ومن يَكُنْ هكذا يَصْبِرْ وَيَغُضّ وَيَحْمِلْ، ويبدِّلِ ٱلعِقَابَ بٱلثَّوابِ، ويُصَيِّرِ الأَعْداءَ مِن قبيلِ الأَصحابِ، وَيَصْبِرْ مِنَ الشخص علىٰ ما يَسوءُ، فقد يَرَى مِنه بعد ذلك ما يَسُرُّ، وَلَقَدْ يخفُّ عليَّ ٱليوم مَنْ قاسَيْتُ من فِعْلِهِ وَقَوْلِه ما لو قَطَّعْتُهُمْ عُضْواً عُضْواً لِمَا ٱرْتَكبُوهُ مِنّي ما شَفَيْتُ مِنْهُمْ غَيْظِي، ولٰكِن رأَيْتُ الإغْضَاءَ والاحتِمالَ، وَلاَ سِيَّما عِنْدَ الاقتدَارِ أولىٰ، ونَظَرْتُ إلىٰ جميعِ مَنْ حَوْلي مِمَّنْ يُحْسِنُ ويُسِيءُ، فَوَجَدْتُ ٱلقُلوبَ مُتَقَارِبةً بعضها مِن بَعْضٍ، ونَظَرْتُ إِلىٰ ٱلمسيءِ يَعُودُ مُحْسِناً، وٱلمُحْسِنِ يَعُودُ مُسِيئاً، وَصِرْتُ أَنْدَمُ عَلَىٰ مَنْ سَبَقَ لهُ مِنّي عِقَاب، ولا أَنْدَمُ عَلَىٰ مَنْ سَبَقَ له مِنِّي ثَوابٌ.

فالْزَمْ يا بُنَيَّ مَعَالِيَ الأُمورِ، وإِنَّ جِمَاعَها في التَّغَاضي، وَمَنْ لا يَتَغَاضَىٰ لا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ، ولا يُقْرَبُ مِنْهُ جانِبٌ، ولا يَنَالُ ما تَتَرَقَّى إِلَيْهِ هِمَّتُه، ولا يظفَرُ بأَمَلِهِ، ولا يَجِدُ مُعِيناً حينَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني عشر:

أحمد أمين[1] يُوصي ابنه[2]

أَيْ بُنَيّ!

لا تظنَّ أَنّك تَستطيعُ أن تكونَ مُهَنْدِساً عظيماً، بِقراءِتِكَ في الهندسةِ وحدَها، ولا أن يكونَ زميلُكَ طبيباً عظيماً بقراءتِهِ في الطِّبِّ وَحدَه. . . فالعَقلُ وَحْدَةٌ، وثقافتُهُ في أيِّ موضوعٍ آخَرَ تُفيدُه في الموضوعِ الذي تَخصَّصَ فيه. فكم أَتَتْ فِكرةٌ هندسيَّةٌ عظيمةٌ من قِراءةِ كتابٍ في الأدبِ، أو في الاجتماع! وكم أَتَتْ فِكرةٌ طِبِّيَّةٌ ساميةٌ من ثقافةٍ اجتماعيَّةٍ أو فَلْسَفِيَّة!

ويُخيَّلُ إليَّ أنَّ كثيراً منَ الأطباءِ ينقُصُهُم المَنطِقُ مثَلاً، فلو تَعَلَّموا شيئاً منَ المنطقِ، لاَسْتَطاعوا أن يُحدِّدوا بالضَّبطِ نوعَ المرضِ ونوعَ العِلاجِ، وخاصَّةً في الأمراضِ التي تَتَشابَهُ أَعراضُها، وتتقاربُ أوصافُها. فالمنطقُ وحدَه هو الذي يستطيعُ أن يقولَ- بناءً على هذه

---

(١) أديب مصري مشهور، وأحد قادة الفكر العربيّ في العصر الحديث. وُلد في القاهرة سنة ١٨٧٨م وتوفي في العام ١٩٥٤م. كان عميدًا لكلِّية الآداب في جامعة القاهرة، وعضوًا في المجمع اللغويّ المصريّ. يُعدُّ من أكبر الدّاعين إلى التجدّد في اللغة والأدب. من مؤلّفاته «إلى ولدي»، و«الأخلاق»، و«حياتي». و«فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام». و«ظهر الإسلام»، و«فيض الخاطر».

(٢) عن كتابه «إلى ولدي».

الأعراضِ المُتَشابِهَةِ - إنّ هذا المرضَ كذا دونَ كذا. والطبيبُ الناجحُ هو الذي مُنحَ مَلَكَةً مَنطقيَّةً بالفِطْرةِ، ولو نُمِّيتْ هذه المَلَكَةُ الفِطريَّةُ بِشَيْءٍ منَ الفَلْسَفَةِ، والمنطقِ التَّعليميِّ، لكان صاحبُها أَنْبغَ وأعظَم.

أيْ بُنَيّ!

مِفتاحُ هذه المُشكلَةِ أنْ تَجتهدَ أَوَّلَ أَمْرِكَ، أن يَكونَ لك هِوايةٌ في فَرْعٍ منْ فُروعِ الثَّقافةِ العامَّةِ، كَنَوْعٍ منْ دِراسةِ التاريخِ، أو نوعٍ منَ الأَدَبِ، أَو نوعٍ منَ الدراسةِ النّفسيةِ، أَوِ الاجتماعيَّةِ، بجانبِ دراستِكَ الخاصَّة. تبدأُ فيه على مَهَلٍ، وتُحبِّبُ نَفْسَك فيه رُويداً رويداً، كما يفعلُ مَنْ يُريدُ أن يُمرِّنَ نَفسَهُ على هِوايةِ جمع الزهورِ، أو جَمْعِ أَوْراقِ البريدِ، أوِ الرَّسمِ، أوْ أيِّ فنٍّ منَ الْفُنونِ الجميلة... فإذا صَبَرْتَ على هذا قليلاً قليلاً، وجدتَ أنّ لذَّتَكَ تنمو شيئًا فشيئًا، وما تزالُ كذلك، حتى تُصبحَ هذه الهِوايةُ «كيْفًا» لا تَصبِرُ عنه، ولا تَستطيعُ ٱلعَيْشَ بدونه، ولكنَّهُ «كيفٌ» راقٍ، سامٍ، نَبيلٌ نافعٌ. فإذا وَصَلْتَ إلى هذه الدَّرَجةِ، اِسْتَسْخَفْتَ مَنْ يُضيِّعونَ أوقاتَ فَراغِهِمْ في الحديثِ التّافهِ، واللَّعِبِ السَّخيفِ، والقِراءةِ الرَّخيصةِ، وأَحْبَبْتَ أن تُصادِقَ مَنْ قَوِيَتْ ثقافتُه، ونَضِجَ تفكيرُه.

أَلَيْسَ عجيبًا أن تَسمعَ من زُملائِك، أنهم يُريدونَ قتلَ الوقتِ بلَعِبِ الورقِ، أو بالحديثِ التافهِ، أو بالكلامِ في أعراضِ الناسِ، أَو نحوِ ذلك؟ كأنَّ الوقتَ عدوٌّ يقاتَلُ، معَ أنَّه المادةُ الخامَةُ للحياةِ، وهو أجْدرُ بأنْ يُصادَقَ، لا أنْ يُقاتَلَ، ولكنْ كم يَجْني الإنسانُ على نفسِه بمعاداةِ أحقِّ شيءٍ بالصَّداقة!

أي بُنَيّ!

تَصوَّرْ أنكَ سَتعيشُ بعد ذلك أربعينَ عامًا أو خَمسينَ، وتصوَّرْ ماذا

تَجني في هذه السِّنينَ الطِّوالِ، إذا أنتَ صَرَفْتَ جُزءًا كبيرًا مِنها في تَقْوِيْمِ نَفْسِكَ، وَتَثْقيفِ عَقلِكَ، وتَهذيبِ ذوقِكَ، وتصوَّرْ كيف تَخْسَرُ، إذا أنتَ صَرَفْتَها، أو أكثَرَها، في ما يَضُرُّ ولا يَنْفَع. بل أنت إذا حَسَبْتَ ذلك بِحِساب اللَّذَّةِ الشَّخصيةِ فَحَسْب، وجدتُكَ تَتَلَذَّذُ أضْعافًا مُضاعَفَةً منْ لذائذِكَ العقليةِ، أكثرَ من لذائذِكَ ٱلجَسَديَّة.

☆ ☆ ☆

الفصل الثالث عشر:

فاخر عاقل يُوصي ولده

قال فاخر عاقل(١) يوصي ولده:

وَلَدي...

لَوْ سَأَلْتَنِيْ عن أهَمِّ صفاتٍ، من صِفاتِ هذا ٱلعَصرِ ٱلذي تعيشُ فيه، لَقُلْتُ لكَ غَيرَ مُتَرَدِّدٍ: «إنَّهُ عصرُ ٱلعَمَلِ». وَلَوْ سَأَلْتَني عن أهَمِّ مُكْتَشَفاتِ هذا القَرْنِ، ٱلذي شَهِدَ مولِدَكَ، وَأَرْجو ألاَّ يَشْهَدَ موتَكَ، لَقُلْتُ لَكَ: «إنَّها قيمَةُ الْعَمَلِ: قيمَتُهُ في بِناءِ حياةِ ٱلفَرْدِ، وقيمَتُهُ في بِناءِ ٱلمُجتَمَعِ، وقيمَتُهُ في بناءِ ٱلإنسانِيَّةِ».

وَلَعَلَّكَ مُلاحِظٌ أنَّنا في زمانٍ، لم تَبْقَ لِلْوِراثَةِ فيهِ قيمةٌ، وأعْنِي بِالْوِراثَةِ: وِراثَةِ ٱلأمْلاكِ، أوْ وِراثَةِ الثروةِ، أوْ وِراثةِ ٱلمَصنعِ، أوْ وراثَةِ ٱللَّقَبِ، أوْ غَيرِ ذَلِكَ مِنْ أشكالِ ٱلوراثَةِ ٱلاجتماعيَّة. إنَّ قيمةَ ٱلإنسانِ في عَصْرِنا هذا، في ما يُحْسِن عَمَلَهُ. والحقُّ أنَّ ٱلْعَمَلَ هُوَ ٱلطَّريقُ ٱلأوْحَدُ لِتَنْمِيَةِ ٱلإنسانِ. وَصَقْلِ ٱلطَّبْعِ، وإبرازِ الْمواهِبِ ٱلفرديَّةِ. وتمتيعِ الْمَرْءِ بالسَّعادَةِ وَٱلرِّضا.

فَأَوْلِ، يا بُنَيَّ، عَمَلَكَ ٱلْمُقْبِلَ جُلَّ تَفكيرِكَ، فَكِّرْ في ما تُحِبُّ أنْ

---

(١) هو باحث سوري حديث، اهتمّ بالتربية والأدب وعلم النفس. له مؤلّفات عديدة في التربية وعلم النفس، منها «علم النفس التربويّ».

تكونَ في هذا ٱلمجتمع، وحاوِلْ أنْ ترى طريقَكَ إلى ٱلْحِرفةِ ٱلتي تُحِبُّ أنْ تَحْتَرِفَ، وَلْيَكُنِ ٱختيارُكَ لِعَمَلِكَ على أساسٍ من قُدُراتِكَ ومُيُولِكَ، وقيمةِ هذاٱلعَمَلِ لِمُجْتَمَعِكَ، وهذا يُحَقِّقُ لَكَ ٱلسَّعادَةَ.

وَلكنْ حَذارِ أنْ تَظُنَّ أنَّ السَّعادةَ تَطْرُقُ بابَ الْكَسْلانِ، أو تَأْتي بطريقِ الأعمالِ السَّهلَةِ، أو تنبَعُ مِنْ الأعمالِ ٱلتي تَسيرُ على مِنْوالٍ واحدٍ دونَ تغييرٍ. فإنْ أرَدْتَ سعادةً حقيقيَّةً، وَجَبَ عليكَ أنْ تَجْتَهِدَ في ٱلقِيامِ بعمَلٍ مُحَبَّبٍ، وعلى وَجْهٍ صحيحٍ. وبِذلكَ فقطْ تكونُ فَنَّانًا، وتكونُ قبلَ هذا وبعدَهُ مُواطِنًا صالِحًا، وإنسانًا مُهَذَّبًا.

وهذا يُوصِلُني، يا بُنَيَّ، إلى ٱلتَّحدُّثِ مَعَكَ عَنِ ٱلإيمانِ، ذلكَ أنَّ الإيمانَ هُوَ جوهرُ الخَلْقِ، ودافعُ العَمَلِ، ومِعْيارُ ٱلنَّجاحِ، فٱلذي لا يُؤْمِنُ لا يَعْمَلُ، وَٱلّذي لا يُؤْمِنُ لا يَنجَحُ، وَالّذي لا يُؤْمِنُ لا يُصيبُ.

أيْ بُنَيَّ، آمِنْ بِالْمَثَلِ الأعلى دونَ التَّعَصُّبِ، وآمِنْ بِوَطَنِكَ دونَ احتِقارٍ لأوْطانِ ٱلآخَرينَ، وآمِنْ بِالإنسانِيَّةِ مَحَبَّةً وتآخِيًا وتعاوُنًا.

وَلَدي! الإيمانُ بهذا المعنى يَدْعُوني إلى ٱلحديثِ عَنِ ٱلأخلاقِ، وَسَأُلَخِّصُها لكَ في هذهِ العِباراتِ ٱلقَصيرَةِ: «لا تَفْعَلْ في السِرِّ ما تَستَحي مِنْهُ في الْعَلَنِ، وَعَلَيْكَ بمُحاسَبَةِ نَفْسِكَ».

أيْ بُنَيَّ، عَليكَ التَّسَلُّحَ بِالْعِلْمِ، ولا تَنْسَ أنَّ الْعِلْمَ ٱلصَّحيحَ مَوْقِفٌ قبلَ أنْ يكونَ مَعرِفَةً، فأنا أُريدُ أنْ تَتَّخِذَ مِنْ مُشْكِلاتِكَ اليَوْمِيَّةِ وَقَضاياكَ ٱلكُبرى، مَوقِفًا عِلْمِيًا يَتَّسِمُ بِحُبِّ الحقيقةِ أوّلاً، وبِالتواضُعِ ثانيًا، وبِٱلإذْعانِ لِلحَقِّ ثالثًا. أُريدُكَ أنْ تَتَّخِذَ مِنْ هذا ٱلكونِ وما فيهِ، موقِفَ المُخْتَبِرِ المُتَعَلِّمِ، ٱلباحِثِ عنِ ٱلحَقيقَةِ، ٱلعامِلِ على نَشْرِها.

أيْ بُنَيَّ، مَتَّعَكَ ٱللّهُ بِٱلسَّعادةِ، وَجَنَّبَكَ مَزالِقَ الْحَياةِ، وعَصَمَكَ مِنَ الزَّلَلِ، وَجَعَلَكَ عُضْوًا نافِعًا لمُجتَمَعِكَ، لائِقًا بإنسانِيَّتِك.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع عشر:

أدفيك شيبوب توصي ابنها

قالت ادفيك شيبوب[١] تُوصي ابنها[٢]:

يا وَلَدِي!

أُريدُ أنْ أُسِرَّ[٣] في أُذُنَيْكَ بكَلِمَاتٍ يَخْفُقُ لها قلبي معَ كلِّ نَبْضَةٍ من نَبَضاتِهِ، وكَتَبْتُها بِدَمي حَرْفًا حَرْفًا.

يا حَبَّذَا يا وَلدي هذا الشبابُ الذي أتَرَقَّبُهُ فيكَ وقَلْبي يَضُجُّ بالأماني، حَبَّذَا شَبابُكَ يَطلعُ غَدًا على بلادِكَ، صَدْرًا عامرًا بالإيمَانِ بِها، وقلْبًا يَزْخَرُ[٤] بالبُطُولَةِ في سبِيْلِها.

يا ولدي:

أُرِيدُكَ لبلادِك أوّلاً، فبلادُكَ لَها حقٌّ عليكَ، هو حقُّ الأرْضِ التي أطْلَعَتكَ، وحقُّ السَّمَاءِ التي ظَلَّلَتْكَ، وحقُّ هؤلاءِ المواطنينَ الذين

---

(١) أديبة لبنانيّة معاصرة. اهتمّت بالقضايا الوطنيّة والاجتماعيّة، وأولتْ عناية خاصّة لشؤون الأسرة، عملت في الإذاعة اللبنانيّة، والصحف التي تُعنى بشؤون المرأة. من مؤلّفاتها «بوح وشوق».

(٢) عن كتاب «المفيد في الأدب العربي».

(٣) أُسرّ: أقول لك سرًّا.

(٤) يزخر: يمتلىء.

تَعِيشُ مَعَهُم، وحقُّ التاريخِ الذي جَعَلَها بِلادًا لَكَ. هُو الحقُّ الأخيرُ يا ولدي. وليسَ بعدَهُ حقٌّ في الأرْضِ.

بلادُكَ، يا وَلَدي، هي كَرَامَتُك وشَرَفُكَ، وفي سَبِيْلِ هذِهِ الكَرَامَةِ والشَّرَفِ لا تَبخَلْ بشَيء.

واعْلَمْ أنَّه ليس من شيءٍ لا يمكن عطاؤُه كما أنّه ليس من شيءٍ يَجُوزُ أنْ تَبْخَلَ بِهِ، فأعطِها من شَبابِك وقلبِكَ وعَقْلِكَ، ولا تَبْخَلْ عَلَيْها بِدَمِكَ إذا دَعَتِ الحَاجَةُ إليْهِ، وليحرسْكَ اللّهُ يا بُنَيَّ، ويَرْعَ شبابَكَ وبلادَك.

☆ ☆ ☆

الباب السادس

من وصايا الآباء
إلى مؤدبي أولادهم

الفصل الأول:

عبد الملك بن مروان يوصي مؤدِّب ولده

قال عبد الملك بن مروان(١) يوصي مؤدِّب ولده(٢):

عَلِّمْهُمُ الصِّدقَ كما تُعلِّمُهُم القرآنَ، واحمِلْهُمْ على الأخلاقِ الجميلة، ورَوِّهِمُ الشِّعْرَ يشجُعُوا ويَنجُدُوا، وجالسْ بهم أشرافَ النَّاسِ وأهلَ العلمِ منهُمْ، فإنَّهم أحْسَنُ النَّاسِ رعَةً،(٣) وأحسنُهُمْ أدَبًا، وجنِّبْهُمُ السَّفِلَةَ والخَدَمَ، فإنَّهُمْ أسْوأ النَّاسِ رِعَةً، وأسْوَؤُهُم أدَبًا، ومُرْهُمْ فَلْيستَاكُوا عَرضًا، ولْيَمُصُّوا الماءَ مصًّا، ولا يَعُبُّوهُ عَبًّا، ووَقِّرْهُمْ في العلانية، وذلِّلْهُمْ في السِّرِّ، واضرِبْهُمْ على الكذبِ، أنَّ الكذِبَ يدعو إلى الفُجورِ، والفُجورُ يدْعو إلى النَّارِ، وجَنِّبْهُمْ شَتْمَ أعراضِ الرِّجالِ، فإنَّ الحرَّ لا يَجدُ من عِرْضِهِ عِوَضًا، وإذا وُلوا أمْراً فامْنَعْهُمْ من ضَرْبِ الأبشارِ(٤)، فإنَّه عارٌ باقٍ، ووِتْرُ مَطلوبٌ، واحمِلْهُمْ على صِلَةِ الأرحامِ، واعلَمْ أنَّ الأدَبَ أولى بالغُلامِ مِنَ النَّسَبِ.

---

(١) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ (٢٦هـ/ ٦٤٦م - ٨٦هـ/ ٧٠٥م) من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً، واسع العلم متعبّدًا، ناسكًا. نُقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربيّة (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٦٥).

(٢) لباب الآداب ص٢٣٠.

(٣) الرعة: الورع.

(٤) الأبشار: الناس.

الفصل الثاني:

عمر بن عبد العزيز يُوصي مؤدِّب ولده

قال عمر بن عبد العزيز[١] يُوصي سهل بن صدقة[٢] مؤدِّب ولده[٣]:

أمَّا بعدُ، فأنّي اختَرْتُكَ على عِلْمٍ منّي بكَ لتأديبِ وُلدي، فصَرَفْتُهُمْ إليك عن غيرِك من مواليَّ، وذوي الخاصة بي، فحَدِّثهم بالجَفاء، فهُوَ أمْعَنُ لاقدامِهِمْ، وتَرْكِ الصُّحْبَةِ فإنَّ عادَتَها تُكسِبُ الغَفْلَةَ، وقِلَّةَ الضَّحِك فإنَّ كثرَتَهُ تميتُ القَلْبَ.

وليكُنْ أوَّلُ ما يعتقدون من أدَبِكَ بغضُ الملاهي التي بدؤها من الشَّيطان، وعاقِبَتُها سُخْطُ الرَّحمن، فإنَّه بلغني عنِ الثقاتِ من أهل العِلم أنَّ حُضور المعازِفِ واستِماعِ الأغاني، واللَّهَج بها يُنْبِتُ النَّفاق في قلبه، وهو حينَ يُفارِقُها لا يعتقد مما سمِعَتْ أذُناه على شيءٍ ممَا يَنْتَفِعُ به.

ولْيَفْتَتِحْ كُلُّ غُلامٍ مِنْهُمْ بجُزْءٍ من القرآن، يَتَثَبَّتُ في قراءَته، فإذا فرغ

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ (٦١هـ/ ٦٨١م - ١٠١هـ/ ٧٢٠م) الخليفة الصالح، والملك العادل، وربّما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهًا له بهم في العدل وحسْن السياسة (الزركلي: الأعلام ٥/ ٥٠).

(٢) لم أقع على ترجمة له.

(٣) سيرة عمر بن العزيز ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

تناول قوسَهُ ونَبْلَهُ، وخَرَجَ إلى الغَرض حافِيًا، فرمى سبْعَة أرشاقٍ ثمَّ انصَرَفَ إلى القائلةِ[1]، قيلوا، فإنَّ ابنَ مسعود[2] رضي اللّه عنه كان يقول: يا بَنِيَّ فأنَّ الشَّياطينَ لا تقيل.

☆ ☆ ☆

---

(١) القائلة: النوم بعد صلاة الظهر.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ (٠٠٠ ـ ٣٢هـ/٦٥٣م) من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقربًا من الرسول (ﷺ). كان خادمه، وصاحب سرّه، ورفيقه في حلّه وترحاله (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٣٧).

الفصل الثالث:

عتبة بن أبي سفيان يُوصي مؤدِّب ابنه

قال عتبة بن أبي سفيان[1] يُوصي مؤدِّب ابنه[2]:

عتْبة:

ليَكُنْ أوَّلَ ما تبدأ من إصلاحِ بَنِيَّ إصلاحُ نَفْسِك، فإنَّ أعيُنَهُمْ معقودَةٌ بعَيْنَيْكَ، فالحَسَنُ عندهُمْ ما استَحْسَنْتَ، والقَبيحُ عندهُم ما استقبحْتَ، وعَلِّمْهُمْ كِتابَ اللّهِ، ولا تُكرِهْهُم عليه فيَملّوهُ، ولا تَتْرُكْهُمْ منه فيهجِروهُ، ثمَّ روِّهِم من الشِّعْرِ أعَفَّهُ، ومنَ الحديثِ أشرَفَهُ، ولا تُخْرِجْهُمْ من عِلْمٍ إلى غَيْرِهِ حتى يُحكِموه، فإنَّ ازدِحامَ الكلامِ في السَّمْعِ مضِلَّةٌ للفَهْمِ، وتَهَدَّدْهُمْ بي، وأدِّبْهُمْ دوني، وكُنْ لهُمْ كالطَّبيب الذي لا يعجَلُ بالدَّواءِ قبلَ مَعْرِفَةِ الداءِ، وجَنِّبْهُمْ محادَثَةَ النِّساءِ، وروِّهِمْ سيَرَ الحُكَماء، واستَزِدني بزيادَتِكَ أيّاهُمْ أزِدْكَ، وإياكَ أنْ تتكِل

---

(١) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس (٠٠٠ ـ ٤٤هـ/ ٦٦٤م) أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة ٤٣هـ، ثمّ خرج إلى الاسكندريّة مرابطًا، فابتنى دارًا في حصنها القديم وتوفّي بها (الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٠٠).

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٦٨ـ ٦٩؛ وشرح مقامات الحريري ٥/ ٢١٤؛ وجمهرة وصايا العرب ٢/ ٣٩٨ـ ٣٩٩.

على عُذْرٍ مِنّي لكَ، فقَدِ اتّكَلْتُ على كِفايةٍ مِنْكَ، وزِدْ في تأديبهم أزِدْكَ في بِرِّي، إن شاءَ اللّهُ تعالى.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع:

هارون الرشيد يوصي مؤدِّب ولده

قال هارون الرشيد[1] يوصي الأحمر النحوي[2] مؤدب ولده الأمين[3]:

يا أحمرُ، إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد دَفَع إليكَ مُهْجَةَ نَفْسِه، وثَمَرَةَ قَلبِهِ، فصَيَّرَ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسوطةً، وطاعَتَكَ عليهِ واجِبَةً، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أميرُ المؤمنين.

أقرِئهْ القُرآنَ، وعَرِّفْهُ الآثارَ، وَرَوِّهِ الأشْعار، وعَلِّمْهُ السُّنَنَ، وَبَصِّرْهُ مَواقِعَ الكلامِ وبدأهُ، وامنَعْهُ الضَّحِكَ إلاّ في أوْقَاتِهِ، وَخُذْهُ بِتَعْظيمِ

---

(١) هو هارون بن محمد بن منصور العباسي (١٤٩هـ/ ٧٦٦م ـ ١٩٣هـ/ ٨٠٩م) خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه: وهو صاحب وقعة البرامكة (الزركلي: الأعلام (٨/ ٦٢).

(٢) هو علي بن الحسن (أو المبارك) المعروف بالأحمر (٠٠٠ ـ ١٩٤هـ/ ٨١٠م) مؤدِّب المأمون العبّاسيّ، وشيخ النحاة في عصره. كان في صباه جنديًّا من رجال النوبة على باب الرشيد، وأخذ العربيّة عن الكسائيّ، فنبغ، وأوصله الكسائيّ إلى الرشيد، فعهد إليه بتأديب أبنائه (الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٧١).

(٣) هو الأمين العباسيّ محمد بن هارون الرشيد بن المهديّ بن المنصور (١٧٠هـ/ ٧٨٧م ـ ١٩٨هـ/ ٨١٣م) تولّى الخلافة بعد موت والده. نشبت الحرب بينه وبين أخيه المأمون، وانتهت بمقتله (الزركلي: الأعلام ٧/ ١٢٧).

مَشَايخِ بَني هاشِمٍ إذا دَخَلوا إليه، وَرَفْعِ مجالِسِ القُوّادِ إذا حَضروا مَجْلِسَهُ، وَلا تَمُرَّنَّ بِكَ ساعَةٌ إلاّ وأنْتَ مُغْتَنِمٌ فيها فائِدَةً تُفيدُهُ إيَّاها، مِن غَيْرِ أنْ تَخْرُقَ بِهِ فَتُميتَ ذِهْنَهُ، ولا تُمْعِنْ في مسامَحَتِهِ فَيَسْتَحلي الفَراغَ ويألَفَهُ، وقَوِّمْهُ ما استَطَعْتَ بالقُربِ والملايَنَةِ، فإنْ أباهُما، فَعَلَيْكَ بالشِّدَّةِ والغِلظَةِ، وباللّهِ توفيقُكُما(١).

☆ ☆ ☆

---

(١) شرح مقامات الحريري ٥/ ٢١٥؛ والفرج بعد الشدّة ٣/ ١٦٣.

الباب السابع

من وصايا الزواج

الفصل الأوَّل:

أمامة بنت الحارث توصي ابنتها

قالت أمامة بنت الحارث[1] توصي ابنتها عند هدائها (زواجها) إلى الحارث بن عمرو[2]، أحد ملوك اليمن[3]:

أي بُنَيَّه، إنَّ الوصيَّةَ لو تُرِكَتْ لِعَقْلٍ وأدَبٍ، أو مَكْرُمَةٍ في حَسَبٍ، لتَرَكتُ ذلكَ مِنكِ، وَلَزَوَيتُه عَنْك، ولكنَّ الوَصِيَّةَ تَذْكرةٌ لِلعَاقِلِ، وَمَنْبَهَةٌ لِلغَافلِ.

أي بُنَيَّة، إنَّه لَو اسْتَغْنَتِ المرأةُ بِغِنَى أبَويها، وَشِدَّةِ حاجَتِهما إليها، كُنْتِ أغنى النّاسِ عَن الزَّوْج، ولكن للرِّجالِ خُلِقَ النِّساءُ، كمَا لَهُنَّ خُلِقَ الرِّجالُ.

أي بنيَّة إنَّكِ قد فارَقْتِ الحِواءَ الذي منه خَرَجْتِ، والوكرَ الذي منه دَرَجْتِ، إلى وكرٍ لَمْ تَعرفيه، وَقَرين لَمْ تألفيهِ، فأصبَحَ بملكِهِ عَلَيْكِ مَلكًا، فكوني لَهُ أمَةً يَكُنْ لك عَبْدًا، واْحفظي عَنِّي خصالاً عَشْرًا، تَكِنْ

(١) هي أمامة بنت الحارث الشيبانيّة، فصيحة نبيلة جاهليّة، كانت زوجة عوف بن محلّم الشّيباني أحد أشراف العرب في الجاهليّة (الزركلي: الأعلام ٢/ ١١).

(٢) هو الحارث بن عمرو بن عديّ بن نصر اللّخميّ، من ملوك الدولة اللخميّة في الحيرة. ولي بعد موت أخيه امرىء القيس، وطالت مدّته (الزركلي: الأعلام ٢/ ١٥٦).

(٣) العقد الفريد ٦/ ٨٣ ـ ٨٤؛ والمعمرون ص١١٩؛ وجمهرة الأمثال ١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢.

لَكِ دَرَكًا وذِكرًا.

فأمّا الأولى والثّانيةُ، فالمعاشَرَةُ لهُ بٱلقَناعةِ، وحُسْنُ السَّمَعِ له والطَّاعَةُ، فإنَّ في القناعةِ راحَةَ ٱلقَلْبِ، وَحُسْنَ السَّمْعِ والطاعَةِ رأفةَ الرَّبِّ.

وأمّا الثَّالثةُ والرَّابعةُ، فلا تَقَعْ عيناهُ مِنْكِ على قَبيحٍ، ولا يَشَمَّ أنفُهُ مِنْكِ إلاّ طيبَ الرِّيحِ، وٱعلَمي - أيْ بنيَّة - أنَّ الماءَ أطيَبُ الطِّيبِ المفقودِ، وأنَّ الكُحْلَ أحْسَنُ الحُسْنِ الموجودِ.

وأما الخامِسَةُ والسَّادسةُ، فالتَّعَهُّد لوقتِ طعامِهِ، والهُدُوُّ عند منامِه، فإنَّ حرارَةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ، وتَنْغيصَ النَّومَةِ مَغضَبَةٌ.

وأمّا السَّابعةُ والثّامِنَةُ، فلاحتفاظُ بمالِه، والرِّعَايةُ على حشَمِهِ وعِيالِهِ فإنَّ الاحتِفَاظ بٱلمالِ مِن حُسْنِ التَّقديرِ، والرِّعايةَ على ٱلحَشَمِ وٱلعِيالِ من حُسْنِ التَّدبيرِ.

وأمّا التاسِعَةُ والعاشِرَةُ، فلا تُفشي لهُ سِرًّا، ولا تَعصَيْ لَهُ أمرًا، فإنَّكِ إنْ أفْشَيْتِ سِرَّهُ لَمْ تأمَني غَدْرَهُ، وإنْ عَصَيْت أمْرَهُ أوغَرْتِ صَدْرَهُ.

وٱتَّقي ٱلفَرَحَ لَدَيْهِ إذا كانَ تَرِحًا، والاكتئابَ عِنْدِهُ إذا كان فَرِحًا، فإنَّ الأولى مِن التَّقصيرِ، والثَّانِيَةَ مِنَ التَّكديرِ، وٱعلَمي أنَّكِ لَنْ تَصِلي إلى ذلك مِنْهُ حتَّى تُؤثري هَواهُ على هَوَاكِ، ورِضاهُ على رِضاكِ فيما أحْبَبْتِ وَكَرِهْتِ، واللّه يخيرُ لكِ، وَيَصْنَعُ لَكِ بِرَحْمَتِه.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني:

عامر بن الظرب العدوانيّ يُوصي ابنته

قال عامر بن الظرب العدوانيّ[١] يُوصي ابنته، وقد زوّجها ابن أخيه، موجِّهًا كلامه إلى امرأته ماويّة بنت عوف بن فهر[٢]:

يا هذه، مري ٱبنتك، فَلا تَنْزِلَنَّ فَلاةً إلاّ مَعَها ماء، وأنَ تُكثِرَ ٱستِعمالَ الماءِ، فَلا طيبَ أطْيَبُ مِنْه، وإنَّ الماءَ جُعِلَ للأعلى جِلاءً، وللأسْفَلِ نَقاءً، وإياكِ أنْ تميلي إلى هَوَاكِ وَرَأيكِ، فإنَّه لا رأيَ لِلْمَرأةِ، وإيايَ وَوَصَّيْتُك، فإنَّه لا وَصِيَّةَ لَكِ.

أخبري ٱبنَتَكِ أنَّ ٱلعِشْقَ حُلْوٌ، وأنَّ الكرامَةَ المؤاتاةُ، فَلا تَسْتَكْرِهَنَّ زَوْجَها مِنْ نَفْسِها، ولا تَمْنَعْهُ عِنْد شَهْوَتِه، فإنَّ ٱلرِّضا الإتيانُ عند اللَّذَّةِ، ولا تُكْثِرْ مُضاجَعَتَهُ، فإنَّ الجَسَدَ إذا مَلَّ مَلَّ ٱلقَلْبُ.

ومُرِيها فَلا تَمْزَحَنَّ مَعَهُ بِنَفْسِه، فإنَّ ذلك يكونُ مِنْه الانقباضُ، ومُرِيها فَلْتَخْبَأْ سوءَتَها مِنه، فإنَّه وإنْ لا بُدَّ مِن أنْ يراها، فإنَّ كَثْرَةَ النَّظَرِ إليها ٱسْتِهانةٌ وخِفَّة.

---

(١) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدوانيّ، حكيم، خطيب، ورئيس من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وممَّن حرَّم الخمر في الجاهليّة. وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكمًا (الزركلي: الأعلام ٣/ ٢٥٢).

(٢) المعمرون ص٦٠.

وقال يوصي صعصعة بن معاوية[١] حين خطب إليه عمرة[٢]:

يا صَعْصَعُ، قَدْ جِئْتَ تَشْتري مِنِّي كَبِدي، وأكرَمَ ولدي عِنْدي، مَنَعْتُكَ أو بِعْتُكَ، النكاحُ خَيْرٌ مِنَ الأيْمَةِ، وٱلحَسَبُ كِفاءُ ٱلحَسَبِ، والزَّوْجُ الصَّالِحُ يُعَدّ أبًا، قَد أنكَحْتُكَ خَشْيَةَ ألاّ أجِدَ مِثْلَكَ.

يا مَعْشَرَ عَدوان، خَرَجَتْ كَريمتُكُمْ مِن بَيْنِ أظْهُرِكُمْ، مِن غَيْرِ رَغْبَةٍ عَنْكُمْ، ولكنَّهُ مَنْ خُطَّ لهُ شَيءٌ جاءَهُ، رُبَّ زارعٍ لِنَفْسِه ما حاصِدُهُ غَيْرُه، ولولا قَسْمُ ٱلحُظُوظ ما أدْرَكَ الآخِرُ مَعَ الأوَّلِ شيئًا يعيشُ بهِ، ولكن رِزْقُ آكلٍ من آجلٍ وَعاجلٍ، إنَّ الذي أرْسَلَ ٱلحَيا[٣] أنْبَتَ المرعى ثمَّ قَسَمَه، وكَلأً لِكُلِّ فَمٍ بَقْلَةً، ومِنَ الماءِ جُرْعَةً، تَرَوْنَ ولا تَعْلَمونَ، ولنْ يرى ما أصِفُ لَكُمْ إلاّ كُلُّ قَلْبٍ واعٍ، ولِكُلِّ مرعَىً راعٍ، ولِكُلِّ رزقٍ ساعٍ، ولِكُل خَلْقٍ خُلْقٌ، كَيْسٌ أو حُمْقٌ، وما رأيتُ شيئًا قَطُّ إلاّ سَمِعْتُ حِسَّهُ، وَوَجَدْتُ مَسَّه، وما رأيتُ شَيئًا خَلَقَ نَفْسَهُ، وما رأيْتُ موضوعًا إلاّ مَصْنوعًا، وما رأيتُ جائِيًا إلاَّ ذاهِبًا، ولا غانمًا إلاّ خائبًا، ولا نِعْمَةً إلاّ وَمَعَها بؤسٌ، ولو كانَ يُميتُ النَّاعس الدّاءُ لأعاشَهُمُ الدَّواءُ، فَهَلْ لَكُمْ في ٱلعِلْمِ ٱلعَليمِ؟

قيل: وما هو؟ فقد قُلْتَ فأصَبْتَ، وأخبَرْتَ فصَدَقْتَ.

فقال: أرى أمورًا شتَّى، وشَيئًا شَيْئًا حَتَّى.

قالوا: وما حتّى؟

قال: حتّى يَرْجعَ الميِّتُ حَيًّا، ويعودَ لا شيءٌ شيئًا، ولذلك خُلِقتِ الأرضُ والسماواتُ. فَتَوَلَّوا عَنْه ذاهبينَ. فقال:

وَيْلُ أمِّها نَصيحةً، لو كان لها مَنْ يَقْبَلُها بِقَبولها.

---

(١) لم أقع على ترجمة له.

(٢) المعمرون ص٦٣ ـ ٦٤؛ والعقد الفريد ٣/ ٢٢٣.

(٣) الحيا: المَطر.

الفصل الثالث:

أسماء بن خارجة يُوصي ابنته

قال أسماء بن خارجه الفزاريّ[1] يوصي ابنته هندًا عند هدائها (زواجها)[2]:

يا بُنيّة، إنَّ الأُمهاتِ يؤدِّبنَ البنات، وإنَّ أمَّكِ هَلَكَتْ وأنْتَ صغيرَة، فعليك بأطيَبِ الطيبِ، الماءِ، وأحْسَنِ ٱلحُسْنِ الكُحْلِ، وإيّاكِ وكثرَةِ ٱلمعاتَبَةِ، فإنَّها قطيعَةٌ للوُدِّ، وأيّاكِ والغَيْرَةَ، فإنَّها مفْتاحُ الطَّلاقِ، وكُوني لِزوْجِك أَمَةً، يكُن لكِ عَبْدًا، واعلمي أنّي القائلُ لأمِّكِ:

خذي ٱلعَفْوَ منِّي تَسْتَديمي مَوَدَّتي ... ولا تَنْطِقي في سَورتي حينَ أغضبُ
ولا تَنْقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تَدرينَ كيف المُغَيَّبُ
فإنّي وَجَدْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأذَى ... إذا ٱجْتَمَعا لمْ يَلْبَثِ ٱلحُبُّ يذهَبُ

☆ ☆ ☆

---

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاريّ (٠٠٠ ـ ٦٦هـ/٦٨٦م) تابعيّ من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق، كان سيّد قومه، جوادًا مقدَّمًا عند الخلفاء (الزركلي: الأعلام ١/ ٣٠٥).
(٢) الأغاني ١٨/ ١٢٨؛ والبيان والتبيين ٢/ ٤٥.

الفصل الرابع:

عبد الله بن جعفر يُوصي ابنته

قال عبد الله بن جعفر[1] يوصي ابنته عند هدائها (زواجها)[2]:

يا بُنيّة، إيّاكِ والغَيْرَةَ، فإنّها مِفْتاحُ الطَّلاقِ، وإيّاكِ والمعاتَبَةَ، فإنّها تورثُ البُغْضَةَ، وعَلَيْكِ بالزِّينَةِ والطِّيب، واعلَمي أنَّ أزينَ الزِّينةِ الكُحْلُ، وأطيبَ الطيبِ الماءُ.

☆ ☆ ☆

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشيّ، (١هـ/ ٦٢٢م ـ ٨٠هـ/ ٧٠٠م) صحابيّ وُلد بأرض الحبشة لمّا هاجر أبوه إليها. وهو أوّل من وُلد بها من المسلمين، وأتى البصرة والكوفة والشام، وكان كريمًا يُسمّى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، وكان أحد الأمراء في جيش علي بن أبي طالب يوم صفّين (الزركلي: الأعلام ٤/ ٧٢).

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٨٨.

الباب الثامن

من وصايا الزهّاد

الفصل الأوَّل:

الإمام الأوزاعي[1] يَعظ المنصور

قال الأمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي يعظ أبا جعفر المنصور[2]، الخليفة العبّاسيّ[3]:

قال: دَخَلْتُ عليه فقال: ما ٱلذي بَطَّأَ بِكَ عَنّي؟ قُلْتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، وما ٱلذي تُريدُ مِنّي؟ فقال: الاقتباسُ مِنْكَ، قُلْتُ: ٱنظُرْ ما تقولُ، فإنَّ مكحولاً حَدَّثَني عن عَطِيَّةَ بن بَشيرٍ أنّ رسولَ اللّهِ صلى اللّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ قال: «مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللّهِ نَصِيحَةٌ في دينِهِ فَهِيَ رَحمةٌ مِنَ اللّهِ سِيقَتْ إليْهِ، فإنْ قَبِلَها مِنَ اللّهِ بِشُكرٍ وإلاَّ كانَتْ حُجَّةً مِنَ اللّهِ عَلَيْهِ لِيَزدادَ إثمًا ولِيَزْدادَ اللّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا، وإنْ بَلَغَهُ شيءٌ مِنَ ٱلحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وإنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللّهَ، لأنَّ اللّهَ هُوَ ٱلحقُّ المبين»، فَلاَ تَجهَلَنَّ، قال: وَكَيْفَ أجْهَلُ؟ قال: تَسْمَعُ وَلاَ تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي (٨٨هـ/ ٧٠٧م ـ ١٥٧هـ/ ٧٧٤م) إمام الديار الشاميّة في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسّلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها (الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٢٠).

(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني.

(٣) عيون اللأخبار ٢/ ٣٣٨ ـ ٣٤١؛ والعقد الفريد ١/ ٣٠٥.

إنَّكَ قَد أصْبَحْتَ مِن هذه ٱلخِلافَةِ بِٱلذي أصْبَحْتَ بِه، واللّهُ سائِلُكَ عَنْ صَغِيرِها وكَبِيرِها وفَتِيلِها ونقيرِها، ولَقد حدَّثَني عُرْوَةُ بنُ رُوَيم أنَّ رسولَ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم قال: «ما مِن راعٍ يَبِيتُ غاشًّا لرعيَّتِهِ إلاّ حرَّمَ اللهُ عليهِ رائحةَ الجنَّةِ»، فحقيقٌ على الوالي أَن يكونَ لِرَعِيَّتِهِ ناظِرًا، وَلِما ٱستطاعَ مِن عَوْراتِهم ساتِرًا، وبِٱلقِسْطِ فيما بَيْنَهُم قائِمًا، لا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ منه رَهَقاً، وَلاَ مُسِيئُهُمْ عُدْوَانًا، فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جَرِيدَةٌ[1] يَسْتاكُ بها وَيَرْدَعُ عَنْه ٱلمنافِقينَ، فأتاهُ جِبْرِيلُ فقال: «يا مُحَمَّدُ ما هذه ٱلجَرِيدَةُ بِيَدِكَ! اقْذِفْها لا تَمْلأْ قُلوبَهُمْ رُعْبًا»، فكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِماءَهُمْ، وَشَقَّقَ أبْشارَهُمْ[2]، وأنهَبَ أموالَهُمْ! يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ ٱلمغفورَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه وَمَا تأخَّر[3] دَعَا إلى ٱلقِصاصِ مِن نَفسِه بِخَدْشٍ خَدَشَهُ أعرابِياً لم يَتَعَمَّدْهُ، فَهَبَطَ جِبريل فقالَ: «يا مُحمَّد إنَّ اللّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبّارًا تكسِرُ قُرونَ أمَّتِكَ».

وٱعلَمْ أنَّ كُلَّ ما في يَدِكَ لا يَعْدِلُ شَرْبةً من شَرابِ ٱلجنَّةِ، ولا ثَمَرَةً مِن ثِمارِهَا، قال رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وَسَلَّم: «لَقَابُ قَوسِ أحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أو قُذَّةٌ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنيا بأسْرِها»[4]، إنَّ الدُّنيا تَنْقَطِعُ وَيزولُ نعيمُها، وَلَو بَقِيَ ٱلمُلْكَ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصلْ إلَيْكَ.

يا أميرَ المؤمنينَ، وَلَوْ أنَّ ثوبًا من ثِيَابِ أهْلِ ٱلنَّارِ عُلِّقَ بينَ السَّماءِ والأرْضِ لآذاهم، فكيف مَنْ يَتَقَمَّصُهُ! وَلَوْ ذَنوبًا[5] من صدِيدِ أهلِ ٱلنَّارِ

---

(١) الجريدة: سعفة طويلة تقشر من خوصها.

(٢) الأبشار: البشر.

(٣) يعني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

(٤) قاب قوس: ما بين المقبض والقُذَّة: ريش السهم.

(٥) الذنوب: الدلو التي يستقى بها من البئر.

صُبَّ على ماءِ الأرضِ لآجَنَه[1]، فَكَيْفَ بِمَن يَتجرَّعُه؟ وَلَو أنَّ حَلَقَةً مِن سَلاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ على جَبَلٍ لَذَابَ، فَكَيْفَ مَن سُلِكَ فِيها، وَيُرَدُّ فَضْلُها على عاتِقِهِ، وقد قال عمر بن ٱلخطّاب: لا يُقَوِّمُ أمْرَ النّاسِ إلاّ حَصِيفُ ٱلعُقْدَةِ، بَعِيدُ العِزَّةِ، لا يَطَّلِعُ ٱلنَّاسُ مِنْهُ على عَوْرَةٍ، وَلاَ يُحْنِقُ في ٱلحقِّ عَلَى جِرَّةٍ[2]، وَلاَ تَأْخُذُهُ في اللّهِ لَوْمَةُ لائمٍ.

وٱعلَمْ أنَّ السُّلطانَ أرْبَعَةٌ، أميرٌ يَظْلِفُ[3] نَفْسَهُ وعُمَّالَهُ، فَذَلك لهُ أجْرُ ٱلمجاهِدِ في سبيلِ اللّهِ، وَصَلاتُهُ سَبعونَ ألْفَ صَلاةٍ، وَيَدُ اللّهِ بالرَّحْمَةِ على رأسِه تُرَفْرِفُ، وأميرٌ رَتَعَ عُمّالُهُ، فَذَاكَ يَحْمِلُ أثقالَهُ وأثقالاً مَعَ أثْقَالِه، وأَمِيرٌ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَيَرْتَعُ عُمَّالُهُ، فَذاكَ ٱلذي باعَ آخِرَتَه بِدُنيا غَيْرِهِ، وأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيَظْلِفُ عُمَّالَه، فَذاكَ شَرُّ الأكياسِ.

وٱعلَمْ يا أميرَ المؤمنينَ أنَّكَ قَد ٱبتُليتَ بأمرٍ عَظيمٍ عُرِضَ على السمَواتِ وٱلارْضِ وٱلجِبالِ فأبَيْنَ أنَ يَحْمِلْنَهُ وأشْفَقْنَ مِنْهُ، وَقَد جَاءَ عَنْ جَدِّكَ في تَفْسيرِ قولِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[4]، أنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمُ، وَٱلكَبِيرَةَ الضَّحِكُ، وقال: فَما ظَنُّكُمْ بِٱلكَلامِ وَمَا عَمِلَتْهُ الأيدي، فأعيذُك باللّهِ أنْ يُخَيَّلَ إلَيْكَ أنَّ قَرابَتَكَ بِرَسُولِ اللِهِ صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تَنْفَعُ مَعَ ٱلمخالَفَةِ لأمْرِهِ، فَقَد قال رسولُ اللّهِ صلَّى اللّه عَلَيه وَسَلَّم: «يا صَفِيَّةُ عَمَّةُ محمد ويا فَاطِمَةُ بنتُ محمّد ٱستَوْهِبا أنْفُسَكُما مِنَ اللّهِ إنّي لا أغني عَنْكُما مِنَ اللّهِ شيئًا» وكانَ

---

(١) آجنه: جعله آجنًا، وماء آجن تغيّر طعمه ولونه.
(٢) أي لا ينطوي على حقد وكره.
(٣) يظلف نفسه: يكفّها عن ظلم الناس.
(٤) سورة الكهف، الآية ٤٩.

جَدُّك الأكبَرُ[1]، سألَ رَسُولَ اللّهُ (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم) إمارَةً فقال: «أيْ عَمّ نَفْسٌ تُحْيِيها خَيْرٌ لَكَ مِن إمارَةٍ لا تُحصِيها»، نَظَرًا لَعَمِّهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أنّ يَلِيَ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَناحَ بَعوضَةٍ، فلا يستطيعُ لهُ نَفْعًا ولا عَنْهُ دَفَعًا.

هَذه نَصِيحَتي إنْ قَبِلْتَها فَلِنَفْسِكَ عَمِلْتَ، وإنْ رَدَدْتَها فَنَفْسَكَ بَخَسْتَ والله ٱلموفّقُ للخيرِ وٱلْمُعِينُ عَلَيْهِ. قال: بَلَى، نَقْبَلُها وَنَشكُرُ عَلَيْها، وبالله نستَعينُ.

☆ ☆ ☆

---

(١) يعني العَباس بن عبد المطلب عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلَّم.

الفصل الثاني:

صالح بن عبد الجليل يعِظ الخليفةالمهديّ

قال صالح بن عبد الجليل[1] يعظ المهديّ[2] الخليفة العبّاسيّ[3]:

إنّا لمَّا سَهُلَ عَلَيْنَا ما تَوَعَّرَ على غَيْرِنا مِن ٱلوصولِ إليكَ قُمنا مَقامَ الأداءِ عَنْهُمْ؛ وَعَنْ رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليهِ وَسَلَّمْ، بإظهارِ ما في أعناقِنا من فَرِيضَةِ الأمْرِ والنَّهي عند ٱنقِطاعِ عُذْرِ الكُتمانِ في التُّقيَةِ، ولا سِيَّما حِينَ ٱتَّسَمْتَ بِمَيْسَمِ التَّواضُعِ، وَوَعَدْتَ اللّهَ وَحَمَلَةَ كِتابِه إيثَارَ ٱلْحَقِّ على ما سِوَاهُ، فَجَمَعَنَا وإياكَ مَشْهَدٌ مِن مَشَاهِدِ التَّمحِيصِ، ليُتِمَّ مؤدِّينا على مَوْعودِ الأداءِ عَنْهُمْ، وَقَابِلُنَا على مَوْعِدِ ٱلقَبولِ، أو يَرُدُّنا تَمحيصُ اللّهِ إيَّانا في ٱختلافي السِّرِّ وٱلعَلاَنِيَةِ، وَيُحَلِّينا بِحِلْيَةِ ٱلكَاذبينَ، فقد كانَ أصحابُ رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليهِ وَسَلَّم يَقُولونَ: مَنْ حَجَبَ اللّهُ عَنْهُ ٱلعِلْمَ عَذَّبَهُ على ٱلجَهْلِ، وأشَدَّ منه عَذابًا مَنْ أقْبَلَ إليهِ ٱلعِلْمُ وأدْبَرَ عَنْهُ، وَمَنْ أهْدى اللّهُ إلَيكَ مِنْ ألْسِنَتِنَا قُبولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلٍ، لا قُبولاً فيه سُمْعَةٌ وَرِياءُ، فإنَّه لا يَخْلِفُك مِنّا إعْلامٌ لِمَا تَجْهَلُ، أو مُواطأةٌ على ما تَعْلَمُ، أو تذكِيرٌ لَكَ مِن غَفْلَةٍ، فَقَد وَطَّنَ اللّهُ تباركَ وتَعالى نَبِيَّهُ

---

(١) لم أقع على ترجمة له.

(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٣) البيان والتبيين ٢/٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ وعيون الأخبار ٢/٣٣٣.

صلى اللّه عليه وَسَلَّمَ على نُزُولِها تَعْزِيةً عَمّا فاتَ، وَتَحصِينًا مِنَ التَّمادي، ودِلالَةً على ٱلمَخْرَجِ فقال: ﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فٱسْتَعِذْ بِٱللّهِ إنَّهُ هُوَ ٱلسَّميعُ ٱلعَليمُ﴾[1]، فأَطْلَعَ اللّهُ على قَلْبِكَ بِما يُنَوِّرُ اللّهُ بهِ القُلوبَ مِن إيثارِ ٱلحَقِّ، وَمُنَابَذَةِ الأهْواءِ، فإنَّكَ إنْ لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ يُرى أثَرُكَ وأثرُ اللّهِ عَلَيْكَ فيهِ ولا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِٱللّهِ.

☆ ☆ ☆

(١) سورة فصلت، الآية ٣٦.

الفصل الثالث:

رجل من الزهّاد يعِظ المنصور

قال رجل من الزهّاد يعِظ أبا جعفر المنصور[1]، الخليفة العبّاسيّ[2]:

بَيْنَما ٱلمَنْصُورُ يَطُوفُ لَيْلاً إذْ سَمِعَ قائلاً يَقول: اللّهُمَّ إنّي أشكُو إلَيْكَ ظُهورَ ٱلبَغْيِ وٱلفَسَادِ في الأرْضِ، وما يَحُولُ بينَ ٱلحقِّ وأهْلِهِ من الطَّمَعِ. فَخَرجَ ٱلمنصورُ فَجَلَسَ ناحِيَةً مِنَ ٱلمَسْجِدِ وأرْسَلَ إلى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ، فَصَلّى الرَّجُل رَكْعَتَيْنِ وٱسْتَلَمَ الرّكْنَ، وَأقْبَلَ مَعَ الرّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِٱلخِلافَةِ، فقال المنصور: ما ٱلذي سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ مِن ظُهورِ ٱلبَغْيِ وٱلفَسادِ في الأرْضِ وما يَحُولُ بينَ ٱلحَقِّ وأهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ؟ فَوَاللّهِ لَقَدْ حَشَوْتَ مَسَامِعي ما أرْمَضَنِي[3]، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ إنْ أمَّنْتَني على نَفْسِي أنْبَأتُكَ بٱلأُمورِ مِن أُصولِها، وإلاّ ٱحتَجَزْتُ مِنْكَ وٱقتَصَرتُ على نفسي ففيها لي شاغِلٌ، فقال: أنْتَ آمِنٌ على نَفْسِكَ فَقُلْ، فقال:

إنَّ ٱلذي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حتّى حالَ بَيْنَ مَا ظَهَرَ مِنَ ٱلبَغْيِ وٱلفَسادِ لأنْتَ، قالَ: وَيْحَكَ وَكَيْفَ يَدْخُلُني الطَّمَعُ والصَّفْراءُ وٱلبَيضَاءُ في

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) العقد الفريد ١/ ٣٦٤؛ وعيون الأخبار ٢/ ٣٣٣؛ وجمهرة وصايا العرب ٣/ ٣١٩ - ٣٢١.

(٣) أرمضني: آلمني.

قَبْضَتي، والْحُلْوُ والْحامِضُ عِنْدِي! قال:

وهَلْ دَخَلَ أحَدٌ مِنَ ٱلطَّمَعِ ما دَخَلَكَ! إنَّ اللّه تَبارَكَ وتَعالى ٱستَرعَاكَ ٱلمسلِمِينَ وأموالَهُمْ، فأغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ، واهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أمْوالِهِمْ، وجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجابًا مِنَ ٱلجُصِّ والآجُرِّ؛ وأبوابًا مِنَ ٱلحَدِيدِ، وَحَجَبَةً مَعَهُم السِّلاحُ، ثمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيها عَنْهُمْ، وبَعَثْتَ عُمَّالَكَ في جِبَايَةِ الأموالِ وَجَمْعِها، وَقَوَّيتَهُمْ بِٱلرِّجالِ وٱلسِّلاحِ وٱلكُراعِ، وأمَرْتَ بألاَّ يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إلاّ فُلانٌ وَفُلانٌ نَفَرٌ سَمَّيتَهُمْ، وَلَمْ تأمُرْ بإيصالِ ٱلمَظْلُومِ وَلاَ ٱلمَلْهُوفِ، وَلاَ الجائِعِ العَارِي، وَلاَ الضَّعِيفِ ٱلفَقيرِ، وَلاَ أحَدٌ إلاَّ وَلَهُ في هذا ٱلمالِ حَقٌّ، فَلَمَّا رآكَ هَؤلاءِ النَّفَرُ ٱلذينَ ٱستَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وآثَرْتَهُمْ على رَعِيَّتِكَ وأمَرْتَ ألاَّ يُحْجَبُوا عَنْكَ، تَجبي الأمْوالَ وَتَجْمَعُها ولا تَقْسِمُها قالوا: هذا قَدْ خانَ اللّه فَما بالُنا لا نَخونُه وَقَد سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ! فأتَمَرُوا بألاَّ يَصِلَ إلَيْكَ مِن عِلْمِ أخبَارِ الناسِ شَيءٌ إلاّ ما أرادُوا، وَلاَ يَخْرُجَ لَكَ عامِلٌ فَيُخَالِفَ أمرَهُمْ إلاّ قَصَبُوهُ[1] عِنْدَكَ، وَنَفَوهُ حتى تَسْقطَ مَنْزِلَتُه وَيَصْغُرَ قَدْرُهُ، فَلَمَّا ٱنتَشَرَ ذلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُم، أعْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ، فكانَ أوَّل مَنْ صانَعَهُمْ عُمَّالُكَ بٱلهَدَايا والأمْوالِ لِيَقوَوْا بِها على ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ، ثُمَّ فَعَلَ ذلِك ذوو ٱلقُدْرَةِ وٱلثَّروَةِ مِن رَعِيَّتِكَ لِيَنَالُوا بِهِ ظُلْمَ مَنْ دُونَهُمْ، فٱمتَلأتْ بِلادُ اللّهِ بٱلطَّمَعِ بَغْياً وفسادًا، وَصَارَ هؤلاءِ ٱلقَومُ شُرَكاءَك في سُلْطانِكَ وأنتَ غَافِلٌ، فإنْ جاءَ مُتَظَلِّمٌ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخولِ مَدِينَتِكَ، فإنْ أرادَ رَفْعَ قِصَّتِهِ إلَيْكَ عِنْدَ ظُهورِكَ وَجَدَكَ قَد نَهَيْتَ عَنْ ذلِكَ؛ وأوقَفْتَ للنّاسِ رَجُلاً يَنْظُرُ في مَظَالِمِهِمْ، فإنْ جاء ذلِكَ الرَّجُلُ فَبَلَغَ بطانَتَكَ خَبَرُهُ سألُوا صاحِبَ

---

(١) قصبوه: شتموه.

ٱلمظالِمَ ألاّ يَرْفَعَ مَظْلِمَتَهُ إلَيْكَ، فإنَّ المتظلِّمَ مِنْهُ لَهُ بِهِمْ حُرْمَةٌ، فأجَابَهُمْ خوفًا مِنْهُمْ، فَلاَ يَزالُ ٱلمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إليهِ وَيَلوذُ بِهِ، ويَشْكُو وَيَسْتَغيثُ، وَهُوَ يَدْفَعُه وَيَعْتَلُّ عَلَيْهِ، فإذا أُجْهِدَ وأُحرِجَ وَظَهَرْتَ، صَرَخَ بينَ يَدَيْكَ، فَضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا لِيَكونَ نكالاً لِغَيْرِهِ، وأنْتَ تَنْظُرُ فَلاَ تُنكِرُ، فَما بَقَاءُ الإسلامِ عَلَى هذا! وَقَدْ كُنْتُ يا أميرَ المؤمنينَ أسَافِرُ إلى ٱلصِّينِ، فَقَدِمْتُها مَرَّةً وَقَد أُصِيبَ مَلِكُها بِسَمْعِهِ، فَبَكى يومًا بُكاءً شَديدًا، فَحَثَّهُ جُلَسَاؤُهُ على الصَّبْرِ فَقَالَ: أما إنِّي لَسْتُ أبكي لِلْبَلِيَّةِ النازِلَةِ بي، ولكنّي أبكي لِمَظلومٍ بٱلبابِ يَصْرُخُ وَلاَ أسْمَعُ صَوْتَهُ ثمَّ قالَ: أمَّا إذا ذَهَبَ سَمْعي فإنَّ بَصَري لَمْ يذهَبْ، نادُوا في النّاس ألاَّ يَلْبَسَ ثَوبًا أحْمَرَ إلاّ مُتَظَلِّمٌ، ثُمَّ كانَ يَرْكَبُ ٱلفِيلَ طَرَفَي نَهارِهِ، وَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظلومًا، فهذا يا أميرَ المؤمنينَ مُشْرِكٌ بٱللّهِ غَلَبَتْ رأفَتُهُ بٱلْمُشْرِكِينَ شُحَّ نَفْسِهِ، وأنْتَ مُؤمِنٌ بٱللّهِ ثمَّ مِن أهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ؛ لا تَغْلِبُ رأفَتُكَ بٱلمسلمينَ على شُحِّ نَفْسِكَ، فإنْ كُنْتَ إنَّما تَجمَعُ ٱلمَالَ لِوَلَدِكَ، فَقَد أراكَ اللّه عِبَرًا في الطِّفْلِ يَسْقُطُ مِن بَطْنِ أُمِّهِ، وَمَا لَهُ على الأرْضِ مالٌ، ومَا مِن مالٍ إلاّ وَدونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْويهِ، فَما يَزالُ اللّه يَلْطُفُ بذلِكَ الطِّفْلِ حتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ الناسِ إليهِ، وَلَسْتَ بٱلَّذي يُعْطي بَلِ اللّه يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ ما يشاءُ، وإنْ قُلْتَ، إنما أجْمَعُ ٱلمالَ لِتَشدِيدِ ٱلسُّلطانِ، فقد أرَاكَ اللّه عِبَرًا في بَني أمَيَّة، ما أغنى عَنْهُم ما جَمَعُوا مِنَ الذَّهَبِ وٱلفِضَّةِ، وأعَدُّوا مِنَ الرِّجَالِ وٱلسِّلاحِ وٱلكُراعِ حتى أرادَ اللّه بِكُمْ ما أرادَ، وإن قُلْتَ إنَّما أجْمَعُ ٱلمالَ لِطَلَبِ غايَةٍ هِيَ أجْسَمُ مِنَ ٱلغايَةِ ٱلتي أنَا فيها، فوٱللّهِ ما فَوقَ ما أنْتَ فيهِ إلاَّ مَنْزِلَةٌ لا تُدْرَكُ إلاَّ بِخِلاَفِ ما أنْتَ عَلَيْهِ يا أميرَ ٱلمُؤْمِنِينَ، هَلْ تُعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ بأشَدَّ مِنَ ٱلقَتْلِ؟ قال ٱلمنصورُ: لا، قالَ: فكَيْفَ تَصْنَعُ بٱلْمَلِكِ ٱلذي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنيا وَهُوَ لا يُعاقِبُ مَنْ

عَصَاهُ بٱلقَتْلِ! وَلَكِنْ بٱلخُلُودِ في ٱلعَذَابِ الأليمِ، قد رأى ما قد عُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ؛ وَعَمِلَتْهُ جوارِحُكَ، وَنَظَرَ إليهِ بَصَرُكَ، وٱجْتَرَحَتْهُ يَدَاكَ، وَمَشَتْ إليهِ رِجْلاكَ، هَلْ يُغْنِي عَنْكَ ما شَحَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنيا إذا ٱنْتَزَعَهُ مِن يَدِكَ وَدَعَاكَ إلى ٱلحِسابِ؟ فبكى المنصورُ وقال: يا لَيْتَنِي لم أُخْلَقْ! وَيْحَكَ! فكَيْفَ أحتالُ لِنَفْسي. قال: يا أميرَ ٱلمؤمنينَ، إنَّ للناسِ أعلامًا يَفْزَعُونَ إلَيْهِمْ في دينِهِمْ، وَيَرْضَونَ بِهِمْ، فٱجعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ يَرْشُدوكَ، وَشَاوِرْهُمْ في أمْرِكَ يُسَدِّدُوكَ، قال: قَد بَعَثْتُ إلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنِّي، قال: خافُوا أنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى طريقَتِكَ، ولكنِ ٱفتَحْ بابَكَ، وَسَهِّلْ حِجابَكَ، وٱنصُرِ ٱلمظلومَ، وٱقمَعِ الظَّالِمَ، وَخُذِ ٱلفَيْءَ وٱلصَّدَقاتِ مِمّا حَلَّ وَطَابَ، وٱقسِمْهُ بٱلحقِّ وٱلعَدْلِ على أهْلِه، وأنا الضامِنُ عَنْهُم أنْ يأتوكَ وَيُسَاعِدُوكَ على صَلاحِ الأُمَّةِ.

☆ ☆ ☆

الباب التاسع

من وصايا السفر

الفصل الأوّل:

لقمان الحكيم يوصي ابنه

قال لقمان الحكيم[1] يوصي ابنه[2]:

يا بُنَيَّ، إذا سافَرْتَ فلا تَنَمْ على دابَّتِكَ، فإنَّ كثرَةَ النَّوم سَرِيعٌ في دَبَرِها، فإذا نَزَلْتَ أرضًا مُكلِئَة[3] فأعْطِها مِنَ الكـلأ، وأبدأ بِعَلَفِها وَسَقْيِها قبل نَفْسِكَ، وإذا بَعُدَتْ عَلَيْكَ المنازِلُ فَعَلَيْكَ بالدَّلْجِ[4]، فإنَّ الأرْضَ تُطوى بالليلِ، وإذا أرَدْتَ النُّزولَ، فلا تنزِلْ على قارِعَةِ الطَّريقِ، فإنَّها مأوى الحيَّاتِ والسِّباعِ، ولكنْ عَلَيْكَ مِن بِقاعِ الأرْضِ بأحْسَنِها لَوْنًا، وَقُلْ: ﴿رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[5].

وإذا أرَدْتَ قَضاءَ حاجةٍ، فأبعدِ المَذْهَبَ في الأرْضِ، وَعَلَيْكَ بالسُّتْرَةِ، وإذا ارتَحَلْتَ مِن مَنْزِلٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَوَدِّع الأرْضَ التي ارتَحَلْتَ عَنْها، وَسَلِّمْ عَلَيْها وعلى أهْلِها، فإنَّ لِكُلِّ بُقْعَةٍ مِنَ الأرْضِ أهْلاً مِنَ الملائِك.

وإذا مَرَرْتَ بِبُقعَةٍ مِنَ الأرْضِ، أو وادٍ، أو جَبَلٍ، فأكثِرْ مِن ذكرِ اللّهِ،

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الخامس من كتابنا هذا.
(٢) عيون الأخبار ١/ ١٣٥.
(٣) مكلئة: معشبة.
(٤) الدلج: السّير آخر الليل.
(٥) سورة المؤمنون، الآية ٢٩.

فإنَّ ٱلجبالَ وٱلبِقاعَ يُنادِي بَعْضُها بَعْضًا: هَلْ مَرَّ بِكُنَّ ٱليَوْمَ ذاكِرٌ للهِ؟ وإنِ ٱستَطعتَ ألاّ تُطعَمَ طَعامًا حتى تَتَصَدَّقَ مِنه فٱفعَلْ، وَعَلَيْكَ بذكرِ اللّهِ جَلَّ وَعَزَّ ما دُمْتَ راكِبًا، وبٱلتَّسبيحِ ما دُمْتَ صائِمًا، وبالدُّعاءِ ما دُمْتَ خالِيًا.

وإيَّاكَ والسَّيْرَ في أوَّل الليلِ؛ وعليك بٱلتَعريسِ، والدُّلْجَةِ مِن نصفِ الليل إلى آخرِه، وإيّاكَ وَرَفْعَ الصَّوْتِ في سَيْرِكَ إلاّ بذكرِ اللّهِ.

وسافِرْ بِسَيْفِكَ، وقوسِكَ، وجميع سِلاحِكَ، وخُفِّكَ، وعمامَتِكَ، وإبرَتِكَ، وخُيوطِكَ، وتَزوَّدْ مَعَكَ الأدوِيَةَ، تَنْتَفِعْ بها، وتَنْفَعَ مَنْ صَحِبَكَ مِنَ المرضى وٱلزَّمْنَى.

وكُنْ لأصحابِكَ موافِقًا في كُلِّ شيءٍ يُقَرِّبُكَ إلى اللّهِ، ويُباعِدُكَ عن مَعْصِيَتِه، وأكثِرِ التَّبَسُّمَ في وُجوهِهِمْ، وَكُنْ كريمًا على زادِكَ بَيْنَهُمْ، وإذا دَعوكَ فأجِبْهُم، وإذا ٱسْتَعَانوكَ فأعِنْهُمْ، وإذا ٱسْتَشْهَدوكَ على ٱلحقِّ فٱشهَدْ لَهُمْ، وأجهِدْ رأيَكَ، وإذا رأيتَهُمْ يمشونَ فٱمشِ مَعَهُمْ، أو يَعْمَلونَ فٱعْمَلْ مَعَهُمْ، وإنْ تَصَدَّقُوا أو أعْطوا فأعْطِ، وٱسمَعْ لِمَنْ هِوَ أكبَرُ مِنْكَ.

وإنْ تَحَيَّرْتُمْ في طَرِيقٍ فٱنْزِلُوا، وإن شَكَكْتُمْ في ٱلقَصْدِ فَتَثَبَّتوا وتآمَروا، وإن رأيتُم خَيالاً واحدًا فلا تسألوه عَنْ طريقِكُمْ، فإنَّ الشَّخصَ الواحِدَ في الفَلاةِ هُوَ الذي حَيَّرَكُمْ، وٱحذَروا الشَّخْصَينِ أيْضاً؛ إلاّ أنْ تَروا ما لا أرَى، فإنَّ الشَّاهِدَ يَرى ما لا يَرَى ٱلغَائِبُ، وإنَّ العاقِلَ إذا أبْصَرَ شيئًا بِعَيْنِهِ عَرفَ ٱلحقَّ بِقَلْبِه.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني:

أعرابيَّة توصي ابنها

قالت أعرابيّة تُوصي ولدًا لها أراد سفرًا[1]:

أي بُنَيَّ، اجلِسْ أمنَحكَ وَصِيَّتي، وبٱللّهِ تَوْفيقُك، وقَليلُ إجدائِهِ[2] عَلَيْكَ، أنْفَعُ مِنْ كَثيرِ عَقْلِكَ.

إيّاكَ والنّمائِمَ، فإنَّها تَزْرَعُ الضَّغائِنَ، وَتُفَرِّقُ بينَ ٱلمُحِبِّينَ، ولا تَجْعَلْ نَفْسَكَ غَرَضاً للرُّماةِ، فإنَّ ٱلهَدَفَ إذا رُمِيَ لَنْ يَلْبَثَ أنْ يَنْثَلِمَ.

ومَثِّلْ نَفْسَكَ مِثالَ ما ٱستَحْسَنْتَهُ مِن غَيْرِكَ فٱعمَلْ بِهِ، وما كَرِهْتَهُ مِنْهُ فَدَعْهُ وٱجتَنِبْهُ، وَمَنْ كانت مَوَدَّتُه بِشْرَهُ، كانَ كالريحِ في تَصَرُّفِها.

إذا هَزَزْتَ فَهُزَّ كَريمًا، فإنَّ الكَرِيمَ يَهْتَزُّ لِهِزَّتِكَ، وإيَّاك واللئيمَ، فإنَّهُ صَخْرَةٌ لا يَنْفَجِرُ ماؤُها، وإيَّاكَ وٱلعُذْرَ، فإنَّهُ أقبَحُ ما تُعومِلَ بِهِ.

وعَلَيْكَ بٱلوَفاءِ، فَفيهِ النَّماءُ، وَكُنْ بِمالِكَ جَوادًا، وَبدينِكَ شَحيحًا وَمَنْ أُعْطِيَ السَّخاءَ وٱلحِلْمَ، فَقَدْ ٱستجاد ٱلحلَّة رَيْطَتَها وسربالَها. انهض على اسم اللّه.

☆ ☆ ☆

---

(١) زهر الآداب ٢/ ١٠٠.

(٢) الإجداء: العطاء.

الفصل الثالث:

امرأة تُوصي ابنها

قالت امرأة توصي ٱبنًا لها وقد أراد سفرًا[١]:

إي بُنَيَّ، أوصِيكَ بِتقوى اللّهِ، فإنَّ قليلَهُ أجْدَى عَلَيْكَ من كَثيرِ عَقْلِكَ، وإياكَ والنّمائِم، فإنّها تُورِثُ الضَّغائِنَ، وتُفَرِّقُ بينَ ٱلمُحبينَ وَمَثِّلْ لِنَفْسِكَ مِثالاً، ما تَسْتَحْسِنُ لِغَيْرِكَ ثمَّ ٱتَّخِذهُ إمامًا، وما تَستَقْبح مِن غَيْرِكَ فٱجتَنِبْهُ، وإيّاكَ وٱلتَّعَرُّضَ للعُيوبِ؛ فَتُصَيِّرَ نَفْسَكَ غَرَضًا، وخَليقٌ أنْ لا يَلْبَثَ ٱلغَرَضُ[٢] عَلَى كَثْرَةِ السهام، وإيّاكَ وٱلبُخْلَ بِمالِكَ، وٱلجودَ بدينِكَ.

وٱلعُذْرُ أقْبَحُ ما يُعَامَلُ بِهِ الإخوانُ، وَكَفَى بٱلوَفاءِ جامِعًا لِما تَشَتَّتَ من الإخاءِ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلحِلْمَ والسَّخَاءَ فَقَدِ ٱستجادَ ٱلحلَّةَ، والفُجورُ أقْبَحُ حُلَّة، وأبقى عارًا.

☆ ☆ ☆

(١) بلاغات النساء ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) الغرض: هدف الرامي.

وقالت أمرأة اخرى توصي أبنها وقد أراد سَفَرًا[1]:

يا بُنَيَّ، إنَّكَ تُجاوِرُ ٱلغُرَباءَ، وَتَرْحَلُ عَنِ الأصدِقاءِ، ولَعَلَّكَ لا تَلْقَى غَيْرَ الأَعْداءِ، فَخالِطِ النَّاسَ بِجَميلِ ٱلبشرِ، وٱتَّقِ اللّه في ٱلعَلانيةِ وٱلسرِّ.

☆ ☆ ☆

(١) زهر الآداب ٢/٩٩.

الفصل الرابع:

رجل يوصي آخر

قال رجل يوصي آخر أراد سفرًا(١):

آثِرْ بِعَمَلِكَ مَعادَكَ، ولا تَدَعْ لِشَهْوَتِكَ رَشادَكَ، ولِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ الذي يَدْعُوكَ إلى ٱلهُدى، وَيَعْصِمُكَ مِنَ الرَّدَى.

ألجِمْ هَواكَ عَنِ الفَواحِشِ، وأطلِقْهُ في ٱلمَكارِمِ، فإنَّكَ تَبَرُّ بِذَلِكَ سَلَفَكَ، وتَشيدُ شَرَفَكَ.

☆ ☆ ☆

---

(١) أمالي القالي ١/ ١٩٧؛ وزهر الآداب ٢/ ٩٩.

الفصل الخامس:

حكيم يُوصي صديقه

قال حكيم يوصي صديقًا له أراد سفرًا[(١)]:

إنَّكَ تَدخُلُ بَلَدًا لا تَعْرِفُه، ولا يَعْرِفُكَ أهْلُه، فَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتي تَنْفُقْ بها فيهِ.

علَيْكَ بِحُسْنِ الشَّمائِلِ، فإنّها تَدُلُّ على ٱلحُرِّيَّةِ، وَنَقَاءِ الأطرافِ فإنَّها تَشْهَدُ بٱلملوكيَّة، وَنَظافَةِ ٱلبزَّةِ، فإنَّها تُنْبِىء عن النّشْءِ في النّعمة، وطيبِ الرائحة فإنَّها تُظْهِرُ ٱلمروءَةَ، والأدبِ ٱلجَميلِ، فإنَّهُ يُكْسِبُ ٱلمحبَّةَ.

ولْيَكُنْ عَقْلُكَ دونَ دِينِكَ، وَقَوْلُك دونَ فِعْلِكَ، وَلِبَاسُكَ دونَ قَدْرِكَ. والزَمِ ٱلحَيَاءَ والأنَفَةَ، وإنَّكَ إنِ ٱستَحْيَيْتَ مِنَ ٱلغَضاضَةِ، ٱجتَنَبْتَ ٱلخَساسَةَ، وإنْ أنِفْتَ عَنْ الغَلَبَةِ لمْ يَتَقَدَّمْكَ نِظيرٌ في مَرْتَبَةٍ.

☆ ☆ ☆

---

(١) زهر الآداب ٢/٩٩؛ وشرح مقامات الحريري ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥.

الباب العاشر

من وصايا الشعرية

الفصل الأوَّل:

ذو الإصبع العدوانيّ يُوصي ابنه

قال ذو الإصبع العدوانيّ[(١)] يُوصي ابنه أسيداً لمّا حضرته الوفاة[(٢)]:

يا بُنيَّ، إنَّ أباكَ قَد فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ، وعاشَ حتى سَئِمَ ٱلعَيْشَ، وإنّي موصِيكَ بما إنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ في قَوْمِكَ ما بَلَغْتُهُ فاْحفَظْ عنِّي:

أَلِنْ جانِبَكَ لقَومِكَ يُحِبّوكَ، وتَواضَعْ لَهُمْ يَرْفَعوكَ، وابسُطْ لهم وَجْهَكَ[(٣)] يُطيعوك، ولا تستأثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيءٍ يُسَوِّدوكَ، وأكرِمْ صِغارَهُمْ كما تُكرِمْ كبارَهُمْ، يُكرِمْكَ كبارُهُمْ، ويكبَرْ على مَوَدَّتِكَ صِغارُهُمْ، وٱسمح بمالِكَ، وٱحْمِ حَريمَكَ، وٱعزُزْ جارَكَ، وأعِنْ مَنْ ٱستعانَ بِكَ، وأكرِمْ ضَيْفَكَ، وأسرِعِ النَّهْضَةَ في الصَّريخِ[(٤)]، فإنَّ لَكَ أجلاً لا يعدوك[(٥)]، وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مسأَلةِ أحَدٍ شيئًا، فبِذلكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ. ثمَّ أنشأ يقول:

أأسيــــــدُ إن مــــــالاً مَلَكْـ ـــتَ فَسِــرْ بــهِ سَيْــرًا جَميــلا

---

(١) هو حرثان بن الحارث بن محرث (٠٠٠ ـ نحو ق هـ/ نحو ٦٠٠م) شاعر جاهليّ حكيم. لقّب بذي الإصبع لأنّ حيَّةً نهشت إصبع رجله فقطعها، وقيل: كانت له إصبع زائدة، شعره مليء بالفخر والحكمة (الزركلي: الأعلام ٢ /١٧٣).

(٢) ديوانه ص ١٥

(٣) أي: أحسِنْ استقبالهم.

(٤) أي: عند طلب المساعدة.

(٥) أي: لا يتقدّم ولا يتأخر.

آخِ ٱلكِـــــرامَ إنِ ٱستَطَعْـ ـــتَ إلــى إخــائهــمِ سَبيــلا
وٱشــرَبْ بِكَــأسِهِـــمِ وإنْ شَــرِبــوا بِــهِ السُّـمَّ الثَّميـلا[١]
أهِـــنِ اللئـــامَ ولا تكُـــنْ لإخـائِهِـمْ جَمَــلاً ذَلــولا
إنَّ الكِـــرامَ إذا تـــوا خيهِـمْ وَجَـدْتَ لَهُـمْ فُضُـولا
وَدَعِ الـــذي يَعِـــدُ العشيـ ـرَةَ أنْ يَسِيـلَ ولَـنْ يسيـلا[٢]
أبُنَـــيَّ إنَّ المـــالَ لا يَبْكــي إذا فَقَــدَ البَخيــلا
أأسِيـــدُ إنْ أزْمَعْـــتَ مِـــن بَلَــدٍ إلــى بَلَــدٍ رَحيــلا
فـاحفَـظْ وإنْ شَحَـطَ المـزا رُ أخـا أخيـكَ أوِ الـزَّميـلا[٣]
وٱركَـــبْ بِنَفْسِـــكَ إن هَمَمْـ ـتَ بهـا ٱلحَـزونَـةَ والسُّهـولا[٤]
وَصِـلِ الكِـرامَ وكُـنْ لِمَـنْ تَـرجـو مَـوَدَّتَـهُ وَصـولا
وَدَعِ التَّـوانـيَ فـي الأمـو رِ وكُـنْ لَهـا سَلِسًـا ذَلـولا[٥]
وٱبسُـطْ يمينَـكَ بـٱلنَّـدى وٱمـدُدْ لَهـا بـاعًـا طـويـلا[٦]
وٱبسُـطْ يـديـكَ بمـا مَلَكْـ ـتَ وَشَيِّـدِ ٱلحَسَـبَ الأثيـلا[٧]
وٱعـزِمْ إذا حـاوَلْـتَ أمْـ ـرًا يُفْـرِجُ ٱلهَـمَّ الـدخيـلا
وٱبـذُلْ لِضَيْفِـكَ ذاتَ رَحْـ ـلِـك مُكْـرِمًـا حتـى يـزولا
وٱحلُـلْ علـى الأيفـاعِ للـ ـعَـافِيـنَ وٱجتَنِـبِ ٱلمَسيـلا[٨]

---

(١) الثميل: القليل.
(٢) أي يعدها بالكرم ثم لا يفعل.
(٣) شحط المزار: بُعْدَ المكان.
(٤) الحزونة: الأرض الخشنة.
(٥) التواني: التأخير في الأمور والكسل في القيام بها.
(٦) الباع: قدر مدّ اليدين.
(٧) الأثيل: الأصيل.
(٨) الأيفاع: جمع يفع، وهو المرتفع من الأرض.

وإذا ٱلقُــــرومُ تَخـــاطَـــرَتْ   يَــوْمًــا وأرعَـــدَتِ ٱلخَصيـــلا[1]
فـــٱهْصِـــرْ كَهَصْـــرِ الليــــثِ   خَضَّبَ مِن فَرِيَستهِ التَّليلا[2]
وٱنـــزِلْ إلـــى ٱلهَيْجـــا إذا   أبطـــالُهـــا كَـــرِهُـــوا النُّـــزولا
وإذا دُعِيـــتَ إلـــى ٱلمُهِـــمِّ   فكُـــنْ لِفَـــادِحِـــهِ حَمـــولا[3]

☆ ☆ ☆

---

(١) القروم: جمع قرم وهو السيّد. الخصيل: كل لحمة فيها عصب، وأراد معنى التهيؤ والاستعداد للمعركة.

(٢) التليل: العنق.

(٣) المهم: صفة لكل أمرٍ عظيم جلل.

الفصل الثاني:

الإمام عليّ بن أبي طالب يُوصي

كتب الإمام عليّ[١]، كرّم اللّه وجهه، إلى ابنه الحسين[٢] يقول:

أَحُسَيْنُ إنّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ　　فَٱفْهَمْ فَإِنَّ ٱلعَاقِلَ ٱلْمُتَأَدِّبُ
وَٱحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ　　يَغْذُوكَ بِٱلآدابِ كَيْلاَ تُعْطَبُ
أبُنَيَّ إنَّ ٱلرِّزْقَ مكَفُولٌ بِهِ　　فَعَلَيْكَ بالإجْمالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لا تَجْعَلَنَّ ٱلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا　　وَتُقَى إلهِكَ فَٱجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ ٱلإلَهُ رِزْقَ كُلِّ بَرِيئَةٍ　　وَٱلْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَٱلرِّزْقُ أَسْرَعُ مِن تَلَفُّتِ نَاظِرٍ　　سَبَبًا إلَى ٱلإنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ ٱلسُّيُولِ إلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا　　وَٱلطَّيْرِ لِلأَوْكَارِ حِينَ تُصَوِّبُ
أبُنَيَّ إنَّ ٱلذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ　　فَمَنِ ٱلَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
وَٱعْبُدْ إلهَكَ ذَا ٱلْمَعَارِجِ مُخْلِصًا　　وَٱنْصِتْ إلَى ٱلأمْثَالِ فيما تُضْرَب
وَإذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَّةٍ　　تَصِفُ ٱلْعَذابَ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَسْكُبُ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ　　لاَ تَجْعَلَنِّي فِي ٱلَّذِينَ تُعَذِّبُ
إنِّي أبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي　　هَذَا وَهَلْ إلاَّ إلَيْكَ ٱلمَهْرَبُ
وإذا مَرَرْتَ بِآيَةٍ في ذِكْرِها　　وَصْفُ ٱلوَسِيلَةِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلمُعْجِبُ

---

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأوّل من كتابنا هذا.
(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل السابع من الباب الخامس من كتابنا هذا.

فَٱسْأَلْ إِلٰهَكَ بِٱلإِنَابَةِ مُخْلِصًا دَارَ ٱلْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَٱجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لاَ تُسْلَبُ
بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ خَوْفَ ٱلْغَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّىءٍ فَٱغْمِضْ لَهُ كَأَبٍ عَلَى أَوْلاَدِهِ يَتَحَدَّبُ
وَٱلضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا ٱسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ
وَٱجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ حَفِظَ ٱلإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَقْرُبُ
وَٱطْلُبْهُمُ طَلَبَ ٱلْمَرِيضِ شِفَاءَهُ وَدَعِ ٱلكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ ٱلمُنَى بِلِسَانِهِ وَيَرُوغُ عَنْكَ كَما يَرَوغُ ٱلثَّعْلَبُ
وَٱحْذَرْ ذَوِي ٱلْمَلَقِ ٱللِئَامَ فَإِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطَبُ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ ٱلْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوا وَتَغَيَّبُوا
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتي وَٱلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَب

☆ ☆ ☆

وكَتَبَ لَهُ أيضًا:

عَلَيْكَ بِبِرِّ ٱلْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا وبِرِّ ذَوِي ٱلقُرْبَى وبِرِّ ٱلأَبَاعِدِ
فَلاَ تَصْحَبَنْ إِلاَّ تَقِيًا مُهَذَّبًا عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ
وَكُفَّ ٱلأَذَى وَٱحفظْ لِسَانَكَ وَٱتَّقي فَدَيْتُكَ فِي وِدِّ الخليلِ المُسَاعِدِ
ونافِسْ بِبَذْلِ المالِ في طَلَبَ العُلى بهِمَّةِ محمودِ الخلائقِ ماجِدِ
وكُنْ وَاثِقًا بِٱللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَصُنْكَ مَدَى ٱلأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
وَبِٱللَّهِ فَٱسْتَعْصِمْ وَلاَ تَرْجُ غَيْرَهُ وَلاَ تَكُ فِي ٱلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدِ
وغُضَّ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَٱجْتَنِبْ أَذَى ٱلْجَارِ وَٱسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ ٱلمَحامِدِ

وقَالَ أيْضًا:

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ فِي ٱلْحَيَاةِ تَزَوُّدًا فَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدِّعُ
وَٱهْتَمَّ لِلسَّفَرِ ٱلقَرِيبِ فَإِنَّهُ أَنْأَى مِنَ ٱلسَّفَرِ ٱلبَعِيدِ وَأَشْنَعُ

وَٱجْعَلْ تَزَوُّدَكَ ٱلمَخَافَةَ وَٱلتُّقَى   فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَٱقْنَعْ بِقُوتِكَ فَٱلْقَنَاعُ هُوَ ٱلغِنَى   وَٱلفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لاَ يَقْنَعُ
وٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱللِّئَامِ فإِنَّهُمْ   منَعُوكَ صَفْوَ وَدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
أَهْلُ ٱلْمَوَدَّةِ مَا أَنَلْتَهُمُ ٱلرِّضَا   وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمُّهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
لا تُفْشِ سِرًّا مَا ٱسْتَطَعْتَ إِلَى ٱمْرِىءٍ   يفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ
فكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا   فَكَذَا بِسِرِّكَ لاَ مَحَالَةَ يَصنَعُ
لاَ تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجلِسٍ   قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنُعُ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِٱلفَتَى   وَلَعَلَّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ
وَدَعِ ٱلْمُزَاحِ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ   جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلاَبِلاً لاَ تُدْفَعُ
وَحِفَاظَ جَارٍ لاَ تُضِعْهُ فَإِنَّهُ   لاَ يَبْلُغُ ٱلشَّرَفَ ٱلجَسِيمَ مُضَيِّعُ
وَإِذَا ٱسْتَقَالَكَ ذُو ٱلأَسَاءَةِ عَثْرَةً   فَأَقِلْهُ إِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا ٱئْتُمِنْتَ عَلَى ٱلسَّرَائِرِ فَٱخْفِهَا   وَٱسْتُرْ عُيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَطَلَّعُ
لاَ تَجْزَعَنَّ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ إِنَّمَا   خَرِقُ ٱلرِجَالِ عَلَى ٱلْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ   إِنَّ ٱلْمُطِيعَ أَبَاهُ لاَ يَتَضَعْضَعُ

وقال أيضًا:

صُنِ ٱلنَّفسَ وَٱحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا   تَعِشْ سَالِمًا وَٱلْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
وَلاَ تُرِيَنَّ ٱلنَّاسَ إِلاَّ تَجَمُّلاً   نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وإِنْ ضَاقَ رِزْقُ ٱليَوْمِ فَٱصْبِرْ إلى غَدٍ   عسَى نَكَبَاتُ ٱلدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ   وَيَغْنَى غَنِيُّ المَالِ وَهْوَ ذَلِيلُ
وَلاَ خَيْرَ فِي وِدِّ ٱمْرِىءٍ مُتَلَوِّنٍ   إِذَا ٱلرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ   وَعِنْدَ ٱحْتِمَالِ ٱلفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ ٱلإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ   وَلَكِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ قَلِيلُ

☆ ☆ ☆

الفصل الثالث:

ابن الوردي يُوصي

قال ابن الورديّ[1]:

إعْتَزِلْ ذِكْرَ ٱلأغاني وَٱلْغَزَلْ   وَقُلِ ٱلْفَصْلَ وَجانِبْ مَنْ هَزَلْ
وَدَعِ ٱلذِّكْرَ لأيَّامِ ٱلصِّبا   فَلأيَّامِ ٱلصِّبا نَجْمٌ أفَلْ
وَٱتْرُكِ ٱلْغادَةَ لا تَحْفِلْ بِها   تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفيعٍ وَتُجَلْ
وَٱفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ ٱلَّذِي   أنْتَ تَهْواهُ تَجِدْ أمْرًا جلَلْ
وَٱهْجُرِ الخَمْرَةَ إن كُنْتَ فَتًى   كَيْفَ يَسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
وٱتَقِ ٱللّهَ فَتَقْوَى ٱللّهِ ما   جاوَرَتْ قَلْب ٱمْرِىءٍ إلاَّ وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلاً   إنَّما مَنْ يَتَّقِي ٱللّهَ ٱلْبَطَلْ
كُتِبَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْخَلْقِ فكَمْ   فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وأفْنَى مِنْ دُوَلْ
أيْنَ نُمْرُودٌ وكَنْعانُ وَمَنْ   مَلَكَ ٱلأرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ
أيْنَ مَنْ سادُوا وشادُوا وبَنَوْا   هَلَكَ ٱلكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ ٱلقُلَلْ
أيْنَ أرْبابُ ٱلْحِجَى أهْلُ ٱلنُّهَى   أيْنَ أهْلُ ٱلعِلْمِ وَٱلْقَوْمُ ٱلأوَلْ
سَيُعِيدُ ٱللّهُ كُلاًّ مِنهُمُ   وسَيَجْزِي فاعِلاً ما قَدْ فَعَلْ

---

(1) هو عمر بن مظفر بن عمر محمد (٦٩١هـ/١٢٩٢م ـ ٧٤٩هـ/١٣٤٩) شاعر أديب مؤرخ. ولد في معرّة النعمان بسورية، وولي قضاء منبج، وتوفي بحلب. له ديوان شعر، ومن مؤلفاته «بهجة الحاوي»، و«الشهاب الثاقب» (الزركلي: الأعلام ٥/ ٦٧).

يا بُنَيَّ ٱسْمَعْ وَصايا جَمعَتْ ... حِكَماً خُصَّتْ بِها خَيْرُ ٱلْمِلَلْ
أُطْلُبِ ٱلْعِلْمَ ولا تَكْسَلْ فَما ... أَبْعَدَ ٱلْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ ٱلْكَسَلْ
وٱحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ ولا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمالٍ وخَوَلْ
وٱهْجُرِ ٱلنَّوْمَ وحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ ٱلمَطْلوبَ يَحْقِرْ ما بَذَلْ
لا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبابُهُ ... كُلُّ مَنْ سارَ عَلى ٱلدَّرْبِ وَصَلْ
فِي ٱزْدِيادِ ٱلعِلْمِ إِرْغامُ ٱلعِدَى ... وجَمالُ ٱلعِلْمِ إِصلاحُ ٱلْعَمَلْ
جَمِّلِ ٱلْمَنْطِقَ بِٱلنَّحْوِ فَمَنْ ... يُحْرَمِ ٱلإِعْرابَ بِٱلنُّطْقِ ٱخْتَبَلْ
اِنْظِمِ ٱلشِّعْرَ ولازِمْ مَذْهَبِي ... في ٱطِّراحِ ٱلرِّفْدِ لا تَبْغِ ٱلنِّحَلْ
فَهْوَ عُنْوانٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَما ... أَحْسَنَ ٱلشِّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ
أَنا لا أَخْتارُ تَقْبِيلَ يَدٍ ... قَطْعُها أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ ٱلْقُبَلْ
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْني كِسْرَةٌ ... وَعَنِ ٱلبَحْرِ ٱجْتِزاءٌ بِٱلوَشَلْ
اِطْرَحِ ٱلدُّنْيا فَمِنْ عاداتِها ... تَخْفِضُ ٱلْعالي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ
عَيْشَةُ ٱلرّاغِبِ فِي تَحْصِيلِها ... عِيشَةُ ٱلْجاهِلِ فيها أَوْ أَقَلْ
كَمْ جَهُولٍ باتَ فيها مُكْثِراً ... وَعَلِيمٍ باتَ مِنْها في عِلَلْ
كَمْ شجاع لَمْ يَنَلْ فِيها ٱلْمُنَى ... وَجَبانٍ نالَ غاياتِ ٱلأَمَلْ
فَٱتْرُكِ ٱلْحِيلَةَ فِيها وَٱتَّكِلْ ... إِنَّما ٱلْحِيلَةُ فِي تَرْكِ ٱلْحِيَلْ
لا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَداً ... إِنَّما أَصْلُ ٱلْفَتَى ما قَدْ حَصَلْ
قَدْ يَسُودُ ٱلْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبٍ ... وَبِحُسْنِ ٱلسَّبْكِ قَدْ يُنْفَى ٱلدَّغَلْ
إِنَّما ٱلْوَرْدُ مِنَ ٱلشَّوْكِ وَما ... يَنْبُتُ ٱلنَّرْجِسُ إِلاَّ مِنْ بَصَلْ
قِيمَةُ ٱلإِنْسانِ ما يُحْسِنُهُ ... أَكْثَرَ ٱلإِنْسانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ ... وَكِلا هٰذَيْنِ إِنْ زادَ قَتَلْ
لَيْسَ يَخْلُو ٱلْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ ... حاوَلَ ٱلعُزْلَةَ فِي رَأْسِ ٱلجَبَلْ
دارِ جارَ ٱلسُّوْءِ بِٱلصَّبْرِ وَإِنْ ... لَمْ تَجِدْ صَبْراً فَما أَحْلَى ٱلنُّقَلْ
جانِبِ ٱلسُّلْطانَ وَٱحْذَرْ بَطْشَهُ ... لا تُعانِدْ مَنْ إِذَا قالَ فَعَلْ
لا تَلِ ٱلأَحْكامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا ... رَغْبَةً فيكَ وَخالِفْ مَنْ عَذَلْ

إنَّ نِصْـفَ ٱلنَّـاسِ أَعْـداءٌ لِمَـنْ وَلِـيَ ٱلأَحْكـامَ هٰـذا إنْ عَـدَلْ
قَصِّـرِ ٱلآمـالَ فِـي ٱلـدُّنْيـا تَفُـزْ فَـدَلِيـلُ ٱلْعَقْـلِ تَقْصِيـرُ ٱلأَمَـلْ
غِـبْ وَزُرْ غِبًّـا تَـزِدْ حُبًّـا فَمَـنْ أَكْثَـرَ ٱلتَّـرْدَادَ أَقْصـاهُ ٱلمَلَـلْ
لا يَضُـرُّ ٱلْفَضْـلَ إِقْـلالٌ كَمـا لا يَضُـرُّ ٱلشَّمْسَ إِطْبـاقُ ٱلطَّفَـلْ
خُـذْ بِنَصْـلِ ٱلسَّيْفِ وٱتْـرُكْ غِمْـدَهُ وٱعْتَبِـرْ فَضْـلَ ٱلفَتَـى دُونَ ٱلْحُلَـلْ
حُبُّـكَ ٱلأَوْطـانَ عجْـزٌ ظـاهِـرٌ فـٱغْتَـرِبْ تَلْـقَ عَـنِ ٱلأَهْـلِ بَـدَلْ
فَبِمُكْـثِ ٱلْمــاءِ يَبْقَــى آسِنــاً وَسُـرَى ٱلْبَـدْرِ بِـهِ ٱلْبَـدْرُ ٱكْتَمَـلْ

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع:

صالح بن عبد القدّوس يُوصي

قال صالح بن عبد القدوس[1]:

المَـرْءُ يَجْمَـعُ وَٱلـزَّمَـانُ يُفَـرِّقُ ... وَيَظَـلُّ يَـرْقَـعُ وَٱلخُطُـوبُ تُمَـزِّقُ
وَلأَنْ يُعَـادَى عـاقِـلٌ خَيْـرٌ لَـهُ ... مِنْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ صَـدِيـقٌ أَحْمَـقُ
فَـٱرْبَـأْ بِنَفْسِـكَ أَنْ تُصَـادِقَ أَحْمَقـاً ... إِنَّ ٱلصَّدِيقَ عَلَى ٱلصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَمِنَ ٱلرِّجَالِ إِذَا ٱسْتَوَتْ أَخْلاَقُهُمْ ... مَـنْ يُسْتَشَـارُ إِذَا ٱسْتُشِيـرَ فَيُطْـرِقُ
حتَّـى يَحُـلَّ بِكُـلِّ وَادٍ قَلْبُـهُ ... فَيَـرَى وَيَعْـرِفُ مَـا يَقُـولُ فَيَنْطِـقُ
لاَ أُلْفِيَنَّـكَ ثَـاوِيـاً فِـي غُـرْبَـةٍ ... إِنَّ ٱلغَـرِيـبَ بِكُـلِّ سَهْـمٍ يُـرْشَـقُ
مَـا ٱلنَّـاسُ إلاَّ عَـامِـلاَنِ فَعَـامِـلٌ ... قد ماتَ مِن عَطَشٍ وآخرُ يَغْرَقُ
والنَّاسُ في طَلَبِ المعاشِ وإنَّمـا ... بالجَدِّ يُـرْزَقُ مِنْهُـمُ مَـنْ يُـرْزَقُ
لَوْ يُرْزَقُونَ ٱلنَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ ... أَلْفَيْـتَ أَكْثَـرَ مَـنْ تَـرَى يَتَصَـدَّقُ
لٰكِنَّـهُ فَضْـلُ ٱلْمَلِيـكَ عَلَيْهِـمِ ... هٰـذا عَلَيْـهِ مُـوَسَّـعٌ وَمُضَيَّـقُ
وَإِذَا ٱلجِنـازَةُ وَٱلْعَـرُوسُ تـلاقَيَـا ... وَرَأَيْـتَ دَمْـعَ نَـوَائِـحِ يَتَـرَقْـرَقُ

---

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبدالله (٠٠٠- نحو ١٦٠ هـ/ نحو ٧٧٧م) شاعر حكيم. كان متكلّماً يعظ الناس بالبصرة. له مع أبي الهذيل العلاّف مناظرات، وشعره كلّه أمثال وحكم وآداب (الزركلي: الأعلام ٣/ ١٩٢).

سَكَتَ ٱلَّذِي تَبِعَ ٱلْعَرُوسَ مُبَهَّتاً   وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ ٱلجِنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا ٱمْرُؤٌ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً   تَرَكَتْهُ حِينَ يُجرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بقِيَ ٱلَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذبوا   ومَضَى ٱلَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس:

ابو الفتح البستي يُوصي

قال أبو الفتح البستي[1]:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ ... وربْحُهُ غير محْضِ الخيرِ خُسرانُ
وكُلّ وِجدانِ حَظٍّ لا ثَباتَ لَهُ ... فإنَّ مَعناهُ في التَّحقيقِ فِقْدانُ
يا عامِراً، لخَرابِ الدَّهرِ مُجتهِداً ... تاللهِ! هل لخَرابِ الدَّهرِ عُمرانُ
ويا حَريصاً على الأموالِ يَجمَعُها ... أنْسِيتَ أنَّ سُرورَ المالِ أحْزانُ
زعِ الفؤادَ عنِ الدُّنيا وزُخْرُفِها ... فصَفْوُها كَدَرٌ، والوَصلُ هِجْرانُ
وأرعِ سَمْعَكَ أمثالاً أُفَصِّلُها ... كما يُفَصَّلُ يَاقوتٌ ومَرْجانُ
أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ... فطالَما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ
وإن أساءَ مُسيءٌ، فلْيَكنْ لكَ في ... عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وغُفرانُ
وكُنْ على الدَّهرِ معواناً لذي أمَلٍ ... يَرجو نَداكَ، فإنَّ الحُرَّ مِعْوانُ
واشدُدْ يَدَيْكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِماً ... فإنَّهُ الرُّكْنُ، إنْ خانَتْكَ أركانُ

---

(١) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف (٠٠٠- ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان)، وإليها نسبته. كان من كتّاب الدولة السامانية في خراسان. له ديوان. (الزركلي: الأعلام ٤/ ٣٢٦).

مَنْ يَتَّقِ اللهَ، يُحْمَدُ في عَواقِبِه — وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا، ومَنْ هانُوا
مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ في طَلَبٍ — فإنَّ ناصِرَهُ عَجزٌ وخِذْلانُ
مَنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعاً، فليسَ لَهُ — على الحَقِيقَةِ إخوانٌ وأَخْدانُ
مَنْ جادَ بالمالِ، مالَ النّاسُ قاطِبَةً — إلَيهِ، والمالُ للإنسان فَتّانُ
مَنْ سالَمَ النّاسَ، يسلَمْ من غوائِلِهِمْ — وعاشَ وَهُوَ قَريرُ العَينِ جَذْلانُ
مَنْ كانَ للعَقلِ سُلطانٌ عَلَيهِ غَدا — وما على نَفسِهِ للحِرْصِ سُلطانُ
منْ مَدَّ طَرْفاً بفَرطِ الجَهلِ، نحو هَوىً — أغضى على الحَقِّ يَوماً وهْوَ خَزْيانُ
مَنْ عاشَرَ النّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصَباً — لأنَّ سوسَهُمُ بَغْيٌ وعُدْوانُ
ومَنْ يُفَتِّشْ عنِ الإخوانِ، يقلِهِمُ — فَجُلُّ إخْوانِ هَذا العَصرِ خَوّانُ
منِ استشارَ صُروفَ الدَّهرِ قامَ لهُ — على حقيقةِ طَبعِ الدَّهرِ بُرهانُ
مَنْ يَزرَعِ الشَّرَّ يَحصُدْ في عواقبِهِ — نَدامَةً، ولِحَصْدِ الزَّرْعِ إبّانُ
مَنِ استَنامَ إلى الأشرارِ، نامَ وفي — قَميصِهِ، مِنهُمُ، صِلٌّ وثُعْبانُ
كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ، إنَّ الحُرَّ هِمَّتُهُ — صَحيفَةٌ، وعَلَيها البِشْرُ عُنْوانُ
ورافِقِ الرِّفْقَ في كُلِّ الأمورِ، فلَمْ — يندَمْ رَفيقٌ، ولم يذمُمْهُ إنسانُ
ولا يَغُرَّكَ حَظٌّ جَرَّهُ خُرقٌ — فالخُرْقُ هَدمٌ، ورِفقُ المَرءِ بُنْيانُ
أحسِنْ، إذا كانَ إمكانٌ ومَقدِرَةٌ — فلن يَدومَ، على الإنسانِ، إمكانُ
والرَّوضُ يَزدانُ بالنُّوّارِ فاغِمةً، — والحُرُّ، بالأصلِ والإحسانِ، يَزْدانُ
صُنْ حُرَّ وَجهِكَ، لا تَهتِكْ غَلائلَهُ — فكُلُّ حُرٍّ لحُرِّ الوَجهِ، صَوّانُ
وإنْ لقِيتَ عَدُوًّا، فَالْقَهُ أبَداً — والوَجهُ بالبِشْرِ والإشراقِ، غَضّانُ
دَعِ التكاسُلَ في الخَيراتِ تطلُبُها — فليسَ يسعَدُ بالخَيراتِ، كَسْلانُ
لا ظِلَّ للمَرءِ، يعرى من تُقىً ونُهىً — وإن أظلَّتْهُ أوراقٌ وأغصانُ
فالنّاسُ أعوانُ مَنْ والَتْهُ دولَتُهُ — وهُمْ عَلَيهِ إذا عادَتْهُ، أعوانُ
سحْبانُ من غَيرِ مالٍ، باقِلٌ حَصِراً — وباقِلٌ، في ثَراءِ المال، سَحْبانُ
لا تُودِعِ السِّرَّ وَشّاءً يبوحُ بِهِ — فما رعى غَنَماً في الدَّوِّ سِرْحانُ
لا تَحسِبَ النّاسَ طَبْعاً واحِداً فَلَهُمْ — غَرائِزٌ لسْتَ تُحصِيها وَأكنانُ

ما كُلُّ ماءٍ كصَدّاءٍ لوارِدِهِ   نَعَمْ! ولا كُلُّ نَبْتٍ فهو سَعْدانُ
لا تَخدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عارِفَةٍ   فالبِرُّ يَخدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيّانُ
لا تَستشِرْ غيرَ نَدْبٍ حازِمٍ يَقِظٍ   قدِ اسْتَوى مِنهُ إسْرارٌ وإعْلانُ
فلِلتدابيرِ فُرْسانٌ إذا ركَضُوا   فيها، أبَرُّوا كما لِلحَربِ فُرْسانُ
وللأُمُورِ مَواقيتٌ مُقَدَّرَةٌ،   وكُلُّ أمرٍ، لهُ حَدٌّ ومِيزانُ
فلا تكُنْ عَجِلاً في الأمرِ تطلُبُهُ،   فليسَ يُحمَدُ، قبلَ النُّضجِ، بُحْرانُ
كفى مِنَ العيشِ ما قدْ سَدَّ من عَوَزٍ،   وفيهِ للحُرِّ قُنْيانٌ وغُنيانُ
وذو القَناعَةِ راضٍ في مَعيشَتِهِ،   وصاحبُ الحِرْصِ، إنْ أثرى فَغَضْبانُ
حَسْبُ الفتى عقلُهُ خِلاً يُعاشِرُهُ   إذا تحاماهُ إخوانٌ وخُلاّنُ
هُما رضيعا لِبانٍ: حِكمَةٌ وتُقىً،   وساكِنا وَطَنٍ: مالٌ وطُغْيانُ
إذا نَبا بكريمٍ موطِنٌ، فلَهُ،   وراءهُ في بَسيطِ الأرضِ أوطانُ
يا نائِماً فَرِحاً بالعِزِّ ساعدَهُ   إنْ كُنتَ في سِنَةٍ، فالدَّهرُ يَقْظانُ
ما استَمْرأ الظُّلْمَ، لو أنصفْتَ آكِلُهُ   وهلْ يلَذُّ مَذاقٌ، وهْوَ خُطْبانُ
يا أيُّها العَالِمُ المَرضِيُّ سيرَتُهُ،   أبشِرْ، فأنتَ بغَيرِ الماءِ رَيّانُ
ويا أخَا الجَهلِ! قد أصبَحْتَ في لُجَجٍ،   وأنتَ، ما بينَها، لا شَكَّ عَطْشانُ
لا تحسِبَنَّ سُروراً دائماً أبَداً،   مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ، ساءتْهُ أزمانُ
يا رافِلاً في الشَّبابِ الوَحْفِ، مُنتشِياً،   منْ كأسِهِ، هلْ أصابَ الرُّشْدَ نَشْوانُ؟
لا تَغْتَرِرْ بشَبابٍ وارِفٍ خَضِلٍ،   فكَمْ تَقدَّمَ قَبلَ الشَّيْبِ، شُبّانُ
ويا أخَا الشَّيبِ، لو ناصَحْتَ نَفسَكَ، لم   يكُنْ لمثلِكَ، في الإسرافِ، إمْعانُ
هبِ الشَّبيبَةَ تُبْلي عُذرَ صاحِبها،   ما عُذْرُ أشيَبَ يَستهويهِ شَيْطانُ!؟
كُلُّ الذُّنوبِ، فإنَّ اللهَ يغفِرُها   إن شَيَّعَ المَرءَ إخلاصٌ وإيمانُ
وكُلُّ كَسْرٍ، فإنَّ اللهَ يَجبُرُهُ،   وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ، جُبْرانُ
إذا جَفاك خَليلٌ كنت تألَفُهُ   فاطلُبْ سِواهُ، فكُلُّ النّاسِ إخوانُ

وإن نَبَتْ بِكَ أوطانٌ نَشَأْتَ بها   فارحَلْ فكلُّ بِلادِ اللهِ أوطانُ
والصّادِقُ البرُّ في الدُّنيا مُسَيْلَمَةٌ   والأحْمَقُ الغُرُّ في النَّعماءِ لُقمانُ
فأكْيَسُ النّاسِ مَنْ في كيسِهِ كِسَرٌ   لا مَنْ يُمَدُّ له في الفَضلِ مَيْدانُ
النّاسُ هَضْبُ شِمامٍ حَيْثُ مَيْسَرَةٌ   لَكِنَّهُمْ حَيْثُ مالَ المالُ أغصانُ
كُنّا نرى إنّما الإحسانُ مَكْرُمَةٌ   فاليَوْمَ مَنْ لا يَضُرُّ النَّاسَ مِحْسانُ
خُذْها سوائِرَ أمثالٍ مُهَذَّبَةٍ   فيها لِمَنْ يَبْتَغي التِّبيانَ تِبيانُ
ما ضَرّ حَسّانَها، والطَّبعُ صائِغُها،   إنْ لم يقُلْها قَريعُ الشِّعرِ حَسّانُ

☆ ☆ ☆

الفصل السادس:

الشيخ ناصيف اليازجي يُوصي

قال الشيخ ناصيف اليازجي[(١)]:

دَعْ يَوْمَ أَمْسِ وَخُذْ فِي شَأْنِ يومِ غَدِ ... وَٱعْدِدْ لِنَفْسِكَ فِيهِ أَفْضَلَ ٱلْعُدَدِ[(٢)]
وَٱقْنَعْ بِمَا قَسَمَ اللهُ ٱلْكَرِيمُ وَلاَ ... تَبْسُطْ يَدَيْكَ لِنَيْلِ ٱلرِّزْقِ مِنْ أَحَدِ
وَٱلْبَسْ لِكُلِّ زَمَانٍ بُرْدَةً[(٣)] حَضَرَتْ ... حَتَّى تُحَاكَ لَكَ ٱلأُخْرَىٰ مِنَ ٱلبُرَدِ
وَدُرْ مَعَ ٱلدَّهْرِ وَٱنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ ... حَذَارِ أَنْ تُبْتَلَى عَيْنَاكَ بِٱلرَّمَدِ
مَتَى تَرَى ٱلْكَلْبَ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ ... فَٱجْعَلْ لِرِجْلَيْكَ أَطْوَاقاً مِنَ ٱلزَّرَدِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ عَلَيْكَ ٱلْعَارَ تَلْبَسُهُ ... مِنْ عَضَّةِ ٱلْكَلْبِ لاَ مِنْ عَضَّةِ ٱلأَسَدِ
لاَ تَأْمَلِ ٱلْخَيْرَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ حَدَثَتْ ... فَهْوَ ٱلحَرِيصُ عَلَى أَثْوَابِهِ ٱلجُدُدِ
وَٱحْرَصْ على ٱلدُّرِّ أَنْ تُعْطِي قَلائِدَهُ ... مَنْ لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ ٱلدُّرِّ وَٱلبَرَدِ
أَعْدَى ٱلعُدَاةِ صَدِيقٌ فِي ٱلرَّخَاءِ فَإِنْ ... طَلَبْتَهُ فِي أَوَانِ ٱلضِّيقِ لَمْ تَجِدِ

---

(١) هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف الشهير باليازجي (١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م - ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م) شاعر من كبار الأدباء في عصره. أصله من حمص ومولده في كفرشيما بلبنان، ووفاته ببيروت. من مؤلفاته «مجمع البحرين» و«فصل الخطاب» وثلاثة دواوين شعريّة (الزركلي: الأعلام ٧/ ٣٥٠).

(٢) جمع عدة، وهي ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

(٣) واحدة البرد، وهو الثوب المخطط.

عَـاقَـدْتَ قَلْبـاً بِقَلْـبِي لاَ يَـداً بِيَـدِ وَأَوْثَقُ ٱلعَهْدِ مَا بَيْنَ ٱلصِّحَابِ لِمَنْ
وَدَعْ حَسُـودَكَ يَشْـوي فِلْـذَةَ ٱلكَبِـدَ عَلَيْكَ بِٱلشُّكْرِ لِلْمُعْطِي عَلى هِبَةٍ
لَمْ يَنْجُ ذُو نِعْمَةٍ مِنْ غَائِلِ ٱلْحَسَدِ لَوْ كَانَ يَفْعَلُ فى ذِي نِعْمَةٍ حَسَدٌ

☆ ☆ ☆

الفصل السابع:

إيليا أبو ماضي يُوصي

قال إيليا أبو ماضي[1]:

قــالَ: «السَّمَــاءُ كئيبــةٌ» وَتَجَهَّمَــا   قلْتُ: ٱبْتَسِمْ يكفي التَّجَهُّمُ في السما!
قال: الصِّبَا وَلَّى! فَقُلْتُ له: ٱبْتَسِمْ   لَنْ يُرْجِعَ الأَسَفُ الصِّبَا المتَصَرِّما
قال: التي كانَتْ سَمَائي في الهَوَى   صَارَتْ لِنَفْسِي في الغرامِ جَهَنَّما
خـانَـتْ عُهُـودِي بَعْـدَمـا مَلَّكْتُهـا   قَلْبي، فكَيْـفَ أُطيـقُ أنْ أتَبَسَّمَـا؟
قُلْتُ: ٱبْتَسِمْ وَٱطْرَبْ فَلَوْ قارَنْتَها   قَضَّيْــتَ عُمْــرَكَ كُلَّــهُ مُتَــأَلِّمـا!
قـال: التِّجـارَةُ فـي صِـرَاعٍ هَـائـلٍ   مِثْـلُ المُسَـافِـرِ كـادَ يَقْتُلُـهُ الظَّمـا
أو غــادَةٍ مَسْلُــولَـةٍ مُحْتَــاجَـةٍ   لِـدَمٍ، وَتَنْفُـثُ كُلَّمـا لَهَثَـتْ دَمَـا
قُلْتُ: ٱبْتَسِمْ ما أنْتَ جَالِبُ دَائها   وشِفائها فإذا ٱبْتَسَمْتَ فَرُبَّما...
أَيَكُونُ غَيْرُكَ مُجْرِماً وتَبِيتُ في   وَجَلٍ كأنَّكَ أنْتَ صِرْتَ المُجْرِما
قالَ: العِدَى حَوْلي عَلَتْ صَيْحاتُهُمْ   أَأُسَرُّ والأَعْداءُ حَوْلي في الحِمَى؟
قُلْتُ: ٱبْتَسِمْ لم يَطْلُبُوكَ بِذَمِّهِمْ   لَوْ لَمْ تكُن مِنْهُمْ أجَلَّ وَأَعْظَمَا!

---

(١) هو ايليا بن ضاهر أبي ماضي (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م - ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) من كبار شعراء المهجر. ولد في قرية المحيدثة (لبنان) وسكن الإسكندرية، ثم سافر إلى أميركا. له عدّة دواوين شعريّة (الزركلي: الأعلام ٢/ ٣٥).

قالَ: المَوَاسِمُ قَدْ بَدَتْ أعْلامُها وَتَعَرَّضَتْ لي في الملابس والدُّمَى
وعَلَـيَّ لِـلأَحْبَـابِ فَـرْضٌ لازِمٌ لكِـنَّ كَفّـي لَيْـسَ تَمْلُـكُ دِرْهَمـا
قُلْتُ: أبْتَسِمْ يَكْفيكَ أنَّك لم تَزَلْ حَيًّا، وَلَسْتَ مِنَ الأَحِبَّةِ مُعْدَما
قـال: اللَّيـالـي جَـرَّعَتْنـي عَلْقَمًـا قُلْتُ: أبْتَسِمْ وَلِئَنْ جَرَعْتَ العَلْقَما
فَلَعَـلَّ غَيْـرَكَ إنْ رآكَ مُـرَنِّمًـا طَـرَحَ الكـآبَـةَ جـانِبًـا وَتَـرَنَّمـا
أَتُـرَاكَ تَغْنَـمُ بـالتَّبَـرُّمِ دِرْهمًـا أمْ أنْـت تَخْسَـرُ بـالبشـاشَـةِ مَغْنَما
يا صاحِ! لا خَطَرٌ على شَفَتَيْكَ أَنْ تَتَثَلَّمَـا والـوَجْـهِ أنْ يَتَحَطَّمـا
فأضْحَكْ فَإنَّ الشُّهْبَ تَضْحَكُ والدُّجَى مُتَـلاطِـمٌ وَلِـذَا نُحِـبُّ الأنْجُمـا!
قال: البَشَاشَةُ لَيْسَ تُسْعِدُ كائناً يَأْتي إلى الدُّنْيا، ويذهَبُ مُرْغَما
قُلْتُ: أبْتَسِمْ ما دام بَينَكَ والرَّدى شِبْـرٌ فـإنَّـكَ بَعْـدُ لَـنْ تَـتَبَسَّمَـا

☆ ☆ ☆

فهرس المحتويات

الصفحة